محمّد طلعت حرب

محمد طلعت حرب

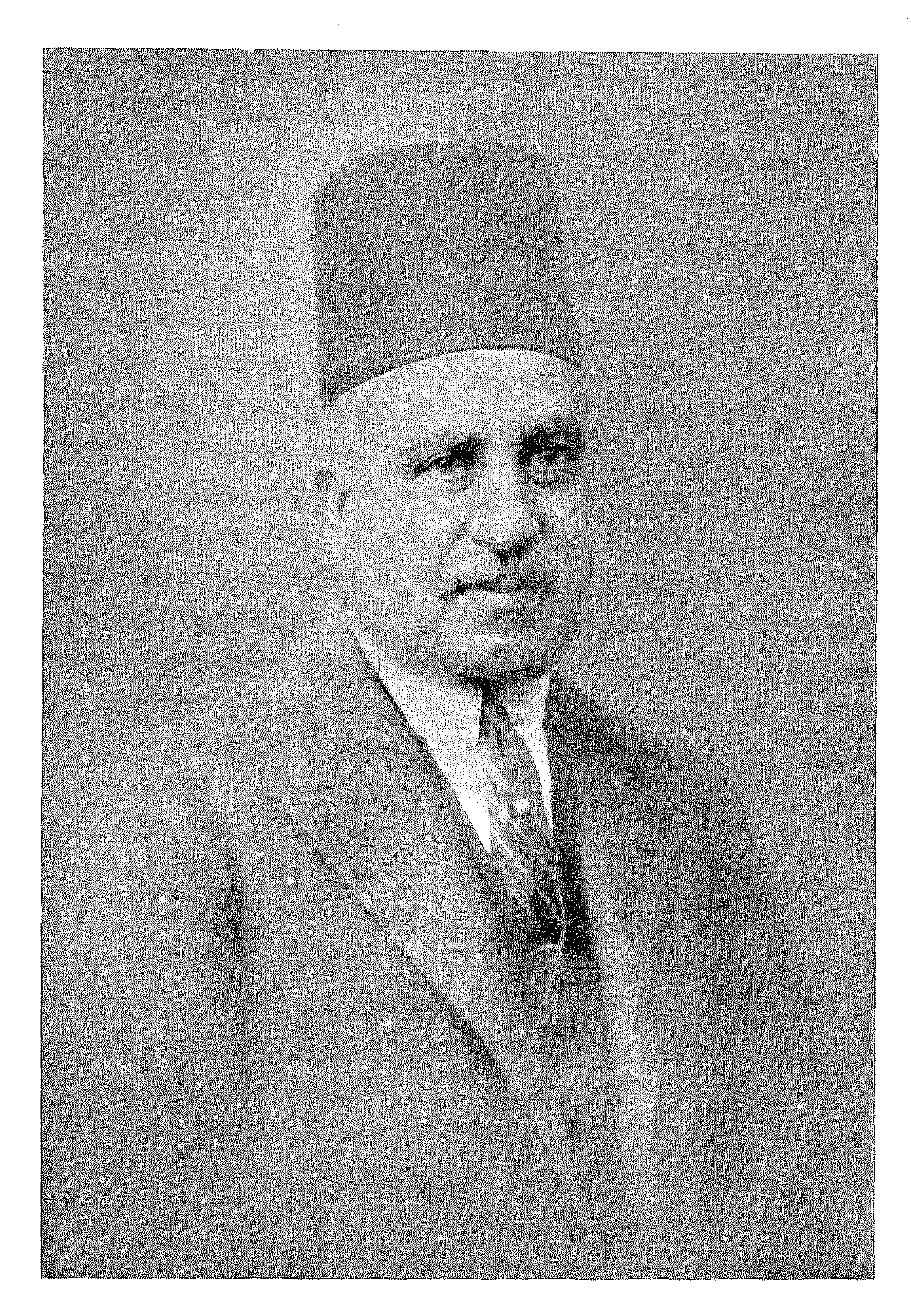
فى

بعض خطبه ومقالاته ومحاضراته

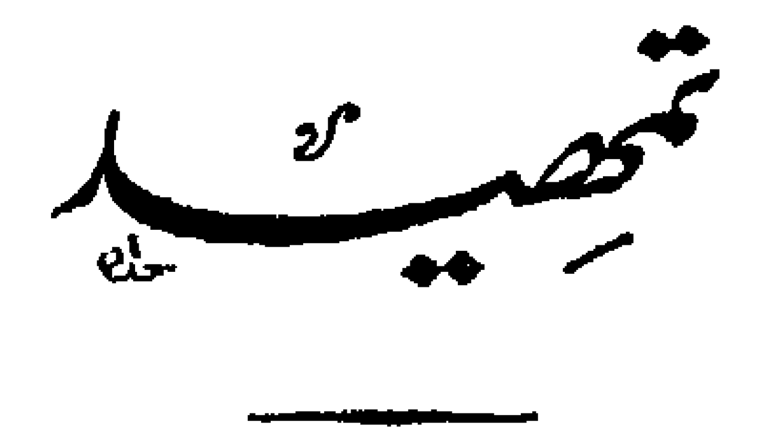
مع

لمحـــــة من تاريخ حياته وأعمـاله

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
١٩٥٧



محمد طلعت حرب



بمناسبة الاحتفال الذى أقامته لجنة تخليد ذكرى محمد طلعت حرب بقاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة يوم الأربعاء الموافق ٢٠ رجب سنة ١٣٧٦ (٢٠فبراير١٩٥٧) رأت اللجنة أن تنتهز هذه الفرصة لاهداء كل مصرى هذه الصفحات التى وقع الاختيار عليها من خطب ومقالات ومحاضرات هذا الرجل البناء العظيم ، مع لمحة من تاريخ حياته وأعماله ، ليجد فيها جزءا من تاريخ مصر وصورة لذلك المكافح الجرىء الذى وهب روحه طيبا ، متواضعا ، لهذا الوطن الباقى على الزمن : مصر الخالدة .

اللجنة

محمد طلعت حرب

لمحـــة من تاريخ حياته وأعماله

آمن مصرى ، نبت من صميم الريف ، بفكرة مصرية . ظل يداورها وتداوره سنين طويلة . يغالبه اليأس منها حينا ، ويحثه ايمانه على تحقيقها حينا آخر . حتى انتصر الايمان ، وكان انتصاره خيرا وبرا وبركة ، حتى على الذين كانوا لا يؤمنون بما آمن به .

ذلك المصرى هو محمد طلعت حرب .

وتلك الفكرة المصرية هى انشاء بنك مصرى يديره مصريون بأموال مصرية .

ولد محمد طلعت حرب فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٧ بقصر الشوق بجهة الجمالية بالقاهرة من أبوين كريمين . فكان أبوه من عائلة حرب بناحية ميت أبو على من أعمال الزقازيق . وكانت أمه من عائلة صقر من ناحية كفر محمد أحمد بمركز منيا القمح بمديرية الشرقية .

وعاش فى القاهرة حيث كان أبوه المرحوم حسن محمد حرب موظفا بمصلحة السكة الحديد . وبعد أن حفظ القرآن الكريم ، تابع تعليمه حتى نال شهادة مدرسة الادارة والألسن . ثم التحق مترجما بقلم قضايا الدائرة السنية خلفا للمغفور له الزعيم محمد فريد الذى تولى حينذاك رياســة هذا القلم . ثم تدرج الى أن أصبح مديرا لأقلام القضايا . ثم عمل مديرا لشركة كوم امبو وأحيلت عليه فى الوقت ذاته ادارة الشركة العقارية المصرية حيث تدرب على الأعمال المالية على يد خبراء ماهرين . واستمر

عمله فى هذه الشركة حتى مصرها وأصبحت غالبية رأس مالها فى أيدى المصريين . أما شركة كوم امبو فقد تنحى عن ادارتها فى سنة ١٩٠٩ ثم عاد اليها عضوا بمجلس ادارتها الى سنة ١٩٣٦ حيث استقال لعدم امكانه التفرغ لها .

واستعان به بعض أصدقائه من كبار الزراع فى تنظيم وادارة أملاكهم الزراعية الواسعة فنجح نجاحا كبيرا . ومارس لحسابه بعض الأعمال التجارية ، وقتا ما ، بجانب عنايته التى اشتهر بها فى ادارة أعماله الزراعية .

وكان يمكن أن يقف حظه عند هذا الحد من النجاح . ولكن الفكرة القديمة ظلت تساوره . فاستولت على قلبه واستأثرت بكل مشاعره ، وكان ايمانه بها ايمانا عميقا فلم تبرح خاطره أبدا — فكشف عنها لبعض أصحابه سرا وجهرا . وقابلها الكثيرون بالفتور والتشكك . ثم نادى بها فى مؤتمر مصرى كان منعقدا سنة ١٩٠٨ فآمن معه بالفكرة قلة . وتوقع له الكثيرون الفشل المحقق — ذلك بأن أكثر المصريين فى ذلك الزمان كان قد تسلط عليهم وهم قاتل بأن الأعمال المالية والصناعية والتجارية ألغاز لا يقدر على فهمها الا الغريب الأجنبى . وثبت هذا الوهم فى النفوس ان لم يكن فى مصر يومئذ مثال لعمل مصرى ناجح يمكن أن يحتذى .

وظل محمد طلعت حرب معتصما بايمانه . مقتنعا بصواب فكرته . مؤمنا بامكان تنفيذها وتحقيقها على مر الأيام . فأخذ يدعو لها فى الصحف . وينشرها بين الناس فى الكتب وألّف فى ذلك كتابا فى عام ١٩١٠ عن « علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك المصريين أو بنك الأمة » . وما انفك يتابع كفاحه فى هذا السبيل الشاق سنين عددا حتى اشتعلت الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ . فرمى بفكرته فى أتون الثورة . فاستوت . واستطاع مع بعض رفاقه أن يعلن للناس فى يوم الجمعة الموافق ٧ مايو سنة ١٩٢٠ — ميلاد بنك مصر .

شب بنك مصر فى حجر الثورة فكان وحده ثورة اقتصادية صاحبت الثورة السياسية فى مطلعها . وبدأ بنك مصر صغيرا كما يبدأ كل شيء . فتأسس برأس مال متواضع قدره ثمانون ألف جنيه . واشترط محمد طلعت حرب أن تكون أسهم بنك مصر اسمية لا يملكها الا مصريون . كما قرر جعل اللغة العربية لغة البنك فى كل أعماله وشئونه .

واتخذ الذين لا يرضيهم العجب من ضآلة رأس المال مادة للسخرية والتندر ولتثبيط الهمم . واتهموا مؤسس البنك بتهمة التعصب لجعله أسهم البنك اسمية واستعماله اللغة العربية . وتوقعوا له الفشل لعدم وجود مصريين ، فى زعمهم ، يصلحون لادارة البنوك .

ولم يلق محمد طلعت حرب بالا لهذا اللغو الباطل . وأعلن للناس برنامج البنك الذى لخصه فى تشجيع المشروعات الاقتصادية المختلفة التى تعود على البنك وعلى البلاد بالخير الجزيل . وفى المساعدة على انشاء الشركات المالية والصناعية والتجارية والزراعية . وكذلك انشاء الغرف التجارية والنقابات التعاونية للزراع والصناع والتجار . وبث روح العمل والتضامن والنظام فى الشبيبة المصرية . والحث على وضع أساس سليم للتربية الاقتصادية العملية فى البلاد .

ويدلنا هذا البرنامج الشامل على أن بنك مصر قد أسس ليكون بنكا قوميا بمعنى الكلمة — يقوم للأمة بكل ما تحتاج اليه من مشروعات فى ميدان الاقتصاد . حتى اذا تحققت لها كل مشروعاتها الحيوية أمكن للبنك حينئذ أن يتخصص فى عمل من أعمال البنوك . لذلك لم يقنع محمد طلعت حرب بأن يكون بنك مصر مجرد بنك كالبنوك الأجنبية التجارية الكثيرة والتى لم تفعل شيئا يفيد منه الاقتصاد المصرى أو يعود بخير على أهل البلاد ، تنفيذا لسياسة مرسومة تستوحيها فى الغالب من مراكزها الرئيسية فى الخارج .

وأشرف محمد طلعت حرب على أعمال البنك فى حرص وتبصر . وابتعد به منذ يومه الأول عن زحام السياسة والحزبية اتباعا للحكمة المأثورة : لكل عمل رجال . بل لقد فتح أبوابه لخدمة جميع المصريين عامة وخاصة على السواء . ولاحت له تباشير النجاح . وأصبح موضع تقدير وثقة كل حكومة مصرية ، وصديقا لكل الأحزاب السياسية المختلفة المبادىء والمشارب — التى كانت قائمة . واستحوذ على ثقة مواطنيه . وأقبلوا عليه معتزين فخورين . فزادت ودائعهم . وزاد رأس مال البنك فترة بعد فترة حتى بلغ الآن مليونين من الجنيهات ، وخطبت ودّه البنوك التى كانت تناهضه . وانتشرت فروعه . وصار له مراسلون فى جميع أنحاء الأرض . وأصبح بنك مصر البيئة العملية الصالحة التى تربى لمصر جيلها الجديد فأخرج لها ذخيرة كبيرة من الصناع كما أخرج لها أكثر الكفاة من رجال المال والاقتصاد .

واستتب البنك . فأسرع محمد طلعت حرب فى تنفيذ الجزء الثانى من برنامجه . فأنشأ ، أول ما أنشأ ، مطبعة ومكتبة مصر لتزويد البنك وفروعه وما قد ينشئه من شركات بالدفاتر والمطبوعات وأدوات الكتابة . ثم وجه عنايته الى القطن — محصول البلاد الرئيسى — فجعل له سلسلة حلقات متصل بعضها ببعض كالحلج والنقل والغزل والنسج والتصدير والتأمين .

واتصلت بالقطن حلقات الحرير والكتان .

وتفرعت من النقل حلقة للنقل فى النهر . والنقل فى البحر . والنقل فى الجو .

ثم ارتبطت هذه الحلقات جميعا بما يدعو لها ويذيع عن انتاجها وأعمالها وعن مفاخر نهضتنا المصرية وهى حلقة السينما .

وهذه الحلقات تتمثل فى شركات مصر التى لمسنا جميعا آثارها الطيبة فى أوقات السلم والحرب والتى تستوعب من أبناء مصر آلافا مؤلفة وتدر عليهم من الرزق ما تقدر قيمته بملايين الجنيهات كل عام . وعاونت معاونة لا يستهان بها على تحسين ميزان مصر التجارى . وعلى تنمية ايرادات الخزانة العامة بما تدفعه لها من ضرائب .

ومع ان هذه الشركات قد فتحت أبوابا واسعة لمن يريد أن يتمثل بها من المصريين فى البناء والانشاء والتعمير ، الا أنها تقصر بالطبع عن الوفاء بكل حاجات الأمة . فبلادنا لا تزال بكرا وميدانا فسيحا لكل عمل. ولذلك فان محمد طلعت حرب قدم باسم بنك مصر فى سنة ١٩٢٩ لوزارة المالية تقريرا ضخما عن الصناعات الأهلية التى تحتاج اليها مصر وعن تنظيم التسليف الصناعى وعن ضرورة انشاء بنك صناعى — لاختيار العاجل منها لتنفيذه بمعاونة الحكومة . وهو تقرير يمكن اتخاذه برنامجا للتصنيع لسنوات عديدة مقبلة .

* * *

ولم يقتصر جهد محمد طلعت حرب على خدمة مصر وحدها بل امتد نشاطه الى البلاد العربية الشقيقة . فقد كان أول من عمل لتحقيق الوحدة العربية بما قام به من زيارات للبلاد العربية باحثا ودارسا ، وما أنشأه من بنوك فى سوريا ولبنان باسم « بنك مصر — سوريا — لبنان » وبما يسر لحجاج بيت الله الحرام من اعداد بواخر مصرية ، واقامة فنادق ممتازة فى الأراضى المقدسة ، وسك عملة سعودية لتثبيت أسعار النقد هناك . وايفاد بعوث من الفنيين للبحث والاستقصاء .

ولقد كان بنك مصر قدوة حسنة . نهج نهجه كثير من البلاد العربية الأخرى . ونسج على منواله كثير من المصريين . فتأسست بنوك وشركات

مختلفة هنا وهناك . واسترد المصريون والعرب ثقتهم بأنفسهم فكان هذا التطور العجيب في الوعى المصرى والعربى على السواء .

وكانت ثورة اقتصادية واجتماعية قادها محمد طلعت حرب بحزم ، وصبر ، ومهارة ، وايمان .

وبعد فان شخصية محمد طلعت حـرب كانت مزيجا من شخصية أصحاب الأعمال الذين لا يعترفون بالخيال وشخصية أصحاب الأحلام والالهام . وكان بجانب استغراق كل وقته فى ادارة البنك وشركاته وارهاق أعصابه بمثل هذا العمل الشاق المتواصل — ميالا بطبعه لمناصرة الآداب والفنون . فقد شـيد دار التمثيل العربى بحديقة الأزبكية وشـجع المسرحيات المصرية والعربية والغنائية . فبلغ المسرح فى عهـده وبفضل تشجيعه مكانة مرموقة فى ذلك الحين . وكان يقرب اليه النابهين من الكتاب والأدباء والشعراء . وكان لماحا ذكيا — اذا قدم له مشروع صدقت فيه فراسته فى الحال . وكان يخشى فتنة الغرور على نفسه وعلى من يعملون معه ، فكان يضيق أشد الضيق بمن يسميه « زعيم مصر الاقتصادى » وينهى عن الاسترسال فى مثل هذه المسميات .

خلع عليه العبء الباهظ الذى كان يحس به مظهر الجد البالغ ، فباعد بينه وبين البسمة الخفيفة ، حتى اشتهر بين عارفيه بالعبوس . وكان صارما ، وخاصة مع معاونيه من الشباب — اذا كلف أحدهم بعمل فأداه فبلغ فيه غاية التوفيق ، ضن عليه بألفاظ الرضا والثناء خشية أن يقعده ذلك عن الاجادة والاتقان .

وكان يعجبه الصدق فى القول والاخلاص فى العمل . ويكره الكذب أشد الكره . فاذا وثق فى شخص ما منحه ثقة لا حد لها . فان كذب عليه مرة رماه من حالق دون مبالاة .

وكان يكره التفرنج والمتفرنجين . ويميل بطبعه كل الميل الى كل ما هو عربى . وبلغ من شغفه بذلك أن جعل بناية بنك مصر ودار التمثيل من الطراز العربى البديع . وكان كذلك فى بيته وفى اختيار أثاثه وملبسه وفى طعامه وشرابه .

ولقد كان صافى النفس ، طيب القلب ، كريما ، عطوفا ، مواسيا ، يرعى جانب ربه ووطنه فى كل عمل يتولاه .

ومحمد طلعت حرب — كما كان يقول عن نفسه — انسان كغيره من البشر . يخطىء ويصيب . فان أخطأ فله من حسن نيته شفيع . وان أصاب فذلك فضل الله .

استأثرت به رحمة الله تعالى فى بلدة العنانية بالقرب من دمياط فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٤١ ودفن بالقاهرة مذكورا بين الأبطال فى سجل الخالدين .

خطبة طلعت حرب بك

فى حفـــلة تأسيس بنك مصر بدار الأوبرا

فى مساء الجمعة ٧ مايو سنة ١٩٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سادتى : باسم بنك مصر نشكر لكم تفضلكم بتلبية دعوته وتشريف هذه الحفلة التى أقيمت احتفالا بتمام الاجراءات التشكيلية التى يقتضيها القانون المصرى لتأسيس البنك .

ففى بعد ظهر هذا اليوم اجتمعت جمعية المساهمين العمومية وقررت استيفاء جميع هذه الاجراءات ودونت شهادة الميلاد الذى نحتفل به الليلة وأملنا فى وجه الله تعالى أن يرعى هذا المولود بعنايته ويتعهده بتوفيقه فيشب ويترعرع حتى يدر خيرا وبركة على البـــلاد وأبنائها فيحتفلون فى كل عام بذكرى هذا اليوم السعيد كما يحتفلون ان شاء الله تعالى بعيـــده الحديدى فالبرونزى فالفضى والذهبى والمئينى وهكذا وما ذلك بعزيز على الله تعالى الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولا على صبر للصابرين وعزم أولى العزم من المصريين ، وعندنا والحمد لله منهم كثيرون .

سادتى : ان فكرة تأسيس بنك مصرى ، برؤوس أموال مصرية ، يعمل لمصلحة مصر قبل كل مصلحة سواها ليست بالحديثة . بل هى فكرة قديمة قد أراد الله تحقيقها الآن فى أنسب الأوقات وأوفق الظروف فما علينا الا أن تشمر عن ساعد الجد والاخلاص للسير به الى الأمام . ففى البلاد أموال عظيمة بعضها مخزون معطل ، وبعضها فى بنوك أجنبية ، وكلاهما لا تستفيد البلاد منه شيئا مذكورا .

أحصى جناب المستشار المالى للحكومة المصرية ودائع الأفراد فى بنكين اثنين — البنك الأهلى وبنك الانجلو — بما يربو على ٣٥ مليونا من الجنيهات ولا يمكن تقدير ما بباقى البنوك لأن من بينها ما لا يفرز حسابات فروعه بمصر على حدة ومنها البنوك الخصوصية التى لا تنشر حسابها ومع كل فلو قلنا ان مجموع ودائع الأفراد ٣٥ مليونا من الجنيهات فقط وقلنا ان نصفها فقط للمصريين — أليس فى استخدام نحو ١٨ مليونا من الجنيهات فى مصلحة مصر وشؤونها الاقتصادية خدمة كبرى للبلاد وأهلها ؟

ولكن فيم تستعمل البنوك الموجودة الآن هذه الودائع والأمانات ؟

نظرة فى تقارير هذه البنوك تدلنا على أن الجزء الأكبر منها مستعمل خارج هذه البلاد ، فى بونات على خزائن الحكومات ، أو فى سندات قروض الحرب ، أو ما أشبه ذلك من العمليات التى هى فى مصلحة المساهمين فقط أو فى مصلحتهم ومصلحة البلاد التابع لها أصحاب النهى والأمر فى هذه البنوك .

يقول جناب المستشار المالى فى مذكرته ان مجموع المبالغ التى شغلتها مصر فى الخارج فى المدة المنقضية من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩١٩ يبلغ ١٥٢ مليونا وهى : —

١٣ مليونا المودع من الحكومة ومن الحراسة الرسمية لأموال الأعداء

٦٥ مليونا لحساب اصدار البنكنوت

٦٠ مليونا من البنوك وشركات الرهنيات

١٤ مليونا من الشركات والأفراد

١٥٢

وهذا تقدير تقريبى أيضا .

ومصر اليوم أحق باستخدام أموال بنيها فى مصالحها وشـؤونها لو كانت هذه الأموال فى أيد مصرية تعمل هى أيضا لمصلحة بلادها كما يعملون وكان نظام مصر النقدى والاقتصادى غير النظام الحالى الذى به ظروف استثنائية تزول ان شاء الله بزوالها .

ولا تتكلم اليوم عن اصدار البنكنوت وكيفية تغطيته ، ولا عن عملتنا وكيف أصبحت تابعة للجنيه الانجليزى حتى هبطت بهبوطه مع أن كفة ميزان التجارة فى مصلحتنا ، ولا عن سعر القطع عندنا كيف يحدد تبعا لسعره بلندره ، ولا عن أقراض المصريين — من حيث لا يدرون — انكلترا وفرنسا وبلجيكا وايطاليا وغيرها بحسب جنسية كل بنك أودع فيه المصريون أموالهم أموالا طائلة .

كلكم قد عامل هذه البنوك ودخل فيها وأناشدكم ضمائركم ألم يتمن كل منكم وهو داخل فى واحد منها لو أن لبلاده بنكا مثله يديره مصريون مثله يعرفهم ويعرفونه ويفهمهم ويفهمونه ؟ ألم يتمن أن يرى بين من يشتغلون فيه مطربشا أو معمما وفى البلاد شباب ناهض يريد عمـلا فلا يجده ، بل يريد تمرينا على عمل فلا يجد بابا يطرقه .

تأسست فى مصر مدارس للتجارة : عليا ومتوسطة وليلية ، فماذا كان نصيب متخرجيها ؟ هل شغلت البنوك أو الشركات أحدا منهم ؟ اللهم لا ، الا النادر الذى لا حكم له . بينما نجد الباقين يشتغلون فى الغالب كتابا فى المصالح العمومية .

وما كان هذا هو الغرض من تأسيس هذه المدارس ؟

بجانب البنوك الأجنبية أراد المصريون أن يكون لهم بنك يعمل عمل هذه البنوك ويخدم مصر كما يخدم كل منها بلدا آخر . ويضع يده فى

يد كل ناهض بمصر الى الأمام وكل مريد الخير لها وفى يد كل بنك فى مصر يعمل لمصلحة البلاد وأهلها .

وها هو البنك قد وجد والحمد للهوالشكر له وهو فى أول يوم من أيام حياته يشهد الله جهارا على ملأ من حضراتكم انه لا يضمر عداء لأحد ولا يريد الا أن يعيش كما يعيش غيره . وأن يكون له نصيب فى خيرات بلاده . ويجاهد فى معترك هذه الحياة لمصلحة مصر وبنيها ، غير ناظر الا لهذه المصلحة ، يولى وجهه شطرها أينما كانت . وهو وان بدا صغيرا سيكبر ان شاء الله تعالى باخلاص المخلصين من أبناء مصر الذين سيبوؤونه كما هو المأمول المكان اللائق به .

* * *

سادتى : ما كاد يظهر نبأ تأسيس البنك حتى وجهت الينا الاعتراضات الآتيـة :

أولا — أننا أردنا لبنك مصر ورأس ماله صبغة مصرية فأثبتنا تعصبنا وتأخرنا فى المدنية .

ثانيا — أنه ليس فى مصر من يصلح لأعمال البنوك .

ثالثا — أن الأمة ، مع كل الطبل والزمر اللذين أحاطا بالمشروع ، لم يمكن أن يجمع منها سوى ٨٠٫٠٠٠ جنيه من أسماء كثيرين اكتتب كل منهم بمبلغ زهيد مما يدل على أن الأمة غير مستعدة للأعمال الاقتصادية .

وماذا يراد أن يعمل بمثل هذا المبلغ الزهيد الذى قد لا يفى ربحه لدفع أجرة المحل ومرتبات بعض الموظفين ! !

واننا نرد على هذه الانتقادات ضاربين عرض الحائط بالسباب والشتم اللذين تخللا ويتخللان عبارات بعض هؤلاء المعترضين الذين

لا يرضيهم طبعا أن يشاركهم مصرى فى تلك الأرباح التى يربحونها من المصريين كأن الله تعالى قد خصهم بها دون غيرهم ، فتراهم يعادون شخصيا كل من يحاول من أبناء البلاد أن ينال شيئا منها ، ويقاتلونه ويعتبرونه معتديا عليهم .

* * *

١ — أسهم بنك مصر إسمية والمساهمون مصريون

نظن أنه اذا كان الغرض فقط هو جمع مال المصريين لعمل بنك بدون أخذ الحيطة اللازمة لعدم تحويل هذا البنك الى بنك أجنبى يعمل كباقى البنوك — ما وجدنا واحدا من المؤسسين يوافق على ذلك أو يرى ضرورة لتأسيس بنك كهذا ، والبنوك الأجنبية كثيرة فى البلاد . انما يعوز مصر حقيقة بنك برأس مال أهلى يعمل لمصر ولمصلحة مصر ، ولضمان ذلك لم يجد من فكروا فى تأسيس البنك سوى جعل الأسهم اسمية واشتراط بقائها بيد مصرية . ولهم أسوة حسنة بما يحصل فى البلاد الأخرى فى كل الأحوال التى يريدون أن لا يتسلط فيها الأجنبى على مرافق البلاد الحيوية . يعلم ذلك كل متتبع لما هو جار فى البلاد الأجنبية ولما تقرره غرفها التجارية وحكوماتها لحماية هذه المرافق الاقتصادية والمالية . وها نحن أولا نقرأ تقريرا لمدير أحد المحلات الفرنسية التجارية باسكندرية ينصح فيه تجار بلاده بأن لا يوكلوا عنهم فى مصر غير فرنسيين ويبلغهم استياء مواطنيه من وجود وكلاء غير فرنسيين عن بعض البيوت التجارية الفرنسية . وليس الفرنسيون بالمنفردين بهذا الاستئثار فالكل فى ذلك سواء وليس الأمر كذلك قاصرا على أوروبا فها هى أمريكا تشترط فى سفن ملاحتها كى تكون أهلية أن يكون جميع أصحابها أمريكيين ، وأركان حربها أمريكيين وأن تكون مصنوعة فى دار

صناعة أمريكية . وتشترط اليابان مثل هذه الشروط فى كثير من شؤونها الاقتصادية حتى فى سماسرة البورصة . نرجع للبنوك ذاتها نجد أن سويسرة تشترط لحيازة أسهم بنك سويسرا الأهلى — وهو آخر بنك أهلى أنشىء فى أوروبا — أن يكون المساهم سويسريا . وها هى اسوج تشترط مثل ذلك ، نعم ان فرنسا تجيز للأجنبى أن يملك أسهم بنك فرنسا ولكنها اشترطت من جهة أخرى أن الأسهم اسمية وأن لا يحضر الجمعية العمومية التى بيدها الحل والعقد الا ٢٠٠ من كبار المساهمين الفرنسيين واشترطت مثل هذا الشرط النمسا فى بنكها الأهلى . وبالجملة فالبلد الذى أباح للأجانب امتلاك أسهم من سهوم بنكه الأهلى قد قرن ذلك بقيود أخرى تجعل لسياسة البلد الاقتصادية اليد العليا فى تسيير دفة أعمال البنك . وهل كان فى وسعنا أن نحصل على وضع مثل هذه القيود ؟ وهل كان يصدق عليها مجلس الوزراء أو لجنة مستشارى القضايا . انهم كانوا بلا شك يرون فى ذلك مخالفة للمبدأ الأساسى لجميع الشركات وهو المساواة التامة بين جميع حملة السهوم .

وليرنا المعترض صاحب حصة فى رأس مال بنك انكلترا غير انكليزى فلماذا لا يعاب مثل هذا على الأمم الراقية ويعاب علينا أن تشبهنا بهم وأردنا أن نحفظ لنفسنا وبلادنا بنكا واحدا يخدم مصالحنا . وأى ضرر على غيرنا ؟

يرموننا بأننا جهلاء لا نصلح لادارة بنك فحقهم أن يشكرونا على أننا من أول الأمر أردنا أن لا نحمل نتيجة جهلنا — لا قدر الله — الا لأنفسنا وأن لا يشاركنا غيرنا فيها . فما بالهم يناقضون أنفسهم ؟

لا . لا . ان لكل بلد فى العالم سياسة مالية يجب أن يسير عليها ، واستقلالا اقتصاديا يجب أن يعمل على الحصول عليه والاستمرار فيه .

والمهيمن على هذه السياسة وهذا الاستقلال الاقتصاديين فى كل بلد من بلاد العالم هو بنكها الوطنى الذى يحصل على امتياز اصدار البنكنوت ويكون فوق كل البنوك يشرف عليها ولا يزاحمها فى أعمالها ، وظيفته مساعدة البنوك بأن يخصم أوراقها ويقرضها على قراطيسها متى احتاجت الى المال ويفرج الأزمات ويتدارك بقدر الطاقة حـدوثها وهو ميزان الحركة التجارية والسوق المالية وبارومتر وفرة المال المعد للأعمـال وندرته ومحدد سعر الفائدة فى البلاد بحسب ذلك ومخزن الذهب العين الى يوم الحاجة اليه يحفظه فى البلاد فلا يخرج منها الا بقدر ولضرورة تحسين سعر كامبيو البلاد أو لضرورة قصوى تقتضيها مصلحة البلاد .

وهو المهيمن الأعلى على الثقة والاعتمادات المالية فيها وبالجملة هو بنك البنوك له وظيفة وأعمال خاصة غير مزاحمة البنوك واليه تنتهى جميع العمليات المالية فى البلاد — هذا البنك الوطنى المسيطر على السياسة المالية لكل بلد ضمنت كل حكومة عدم تسلط أى يد أجنبية عليه . وهذه هى وظيفة البنك الأهلى فى مصر الذى كان يجب أن يكون أهليا بكل معانى الكلمة . أهليا فى رأس ماله . أهليا فى ادارته كما هو الحال فى جميع بلاد الدنيا العاملة على حفظ استقلالها الاقتصادى . أما فى مصر فان الأسهم جعلت لحاملها وأصبحنا لا ندرى ولا هو يدرى فى يد من هى الآن أو بعد ساعة ومعلوم أن حملة الأسهم هم أصحاب الرأى الأعلى ولهم الحكم فى تسيير أعمال شركتهم وهو فى مصر يزاحم البنوك الموجودة فيها فى أعمالها وقد كان له العذر فى عدم تغيير خطته لأنه لم يكن فى البلاد بنوك أهلية ليكون بنكها ولا يمكن أن يكون بنكا لبنوك أجنبية قد لا تتفق فى الغالب مصلحتها مع مصلحته فاذا أبطل أعمال البنوك العادية لا يستفيد هو ولا تستفيد البلاد شيئا بل الذى يستفيد هو البنوك الأجنبية المزاحمة الأخرى فضلا عن أن ربحه من

البنكنوت المتداول فى البلاد كان لغاية سنة ١٩١٤ قليلا لعدم التعود كثيرا عليها فلم يكن فى الامكان مطالبته بأن يعدل عن الأعمال الأخرى الا اذا وجد له ربح يعادل ما يخسره من الأعمال المذكورة .

هذا الربح لا يكون الا اذا وجدت بنوك أهلية برؤوس أموال أهلية تستعمل البنك الأهلى كبنك البنوك فيربح من معاملتها ويترك لها أعمال البنوك العادية ويعامل الأفراد بواسطتها فيؤدى وظيفة بنك البنوك الحقيقية .

لهذا أردنا أن يكون لنا بجانب البنك الأهلى بنك مصر نتدارك فيه ما فات لدى تأسيس البنك الأول . ولا أظن أن البنك الأهلى يرفض اتفاقا يحصل بين شركتنا وبينه على الأساس السابق يكون فاتحة خير لهما وللبلاد خصوصا وقد أصبح تداول البنكنوت شائعا فى مصر وأصبح له من ربحه المال الكثير . على أن لا شيء يمنعنا — بل هو الواجب المفروض علينا — من أن نجعل البنك الأهلى أهليا بالفعل بحصر أسهمه أو معظمها فى يدنا نحن المصريين مهما قال ذوو الغرض وشتموا وسبوا ، فلن يلحق بنا سبابهم ما دمنا وطدنا العزم على السير للأمام باخلاص وعزيمة لا تكل ان شاء الله تعالى .

أقول ذلك وأنا واثق من أن وراءنا الأمة بأكملها راضية عن هذه السياسة الاقتصادية عاملة عليها معضدة لها .

يقولون ان فى جعل الأسهم اسمية واشتراط التبعية المصرية فى مالكيها تضييقا لدائرة التداول وتصعيبا لحركة هذا التداول .

ونقول ان الأمة التى تريد استقلالها الاقتصادى يجب عليها أن تشترى هذا الاستقلال بقليل من التضحية ، بل بتضحيات كبيرة لا يذكر بجانبها بعض صعوبة يلاقيها من يريد بيع سهم له . على أن لا صعوبة

عظيمة لأنه قد أبيح البيع ولكن لمصرى . لا يذكر أيضا بجانب هذه التضحيات ما ربما لا تحوزه الأسهم من ألاعيب البورصة وتقلبات الأسعار فيها بسبب صعوبة تداولها . فان المساهم لم يساهم فى البنك على ما نعتقد ليضارب بأسهمه . بل ونذهب لأكثر من ذلك ماذا يضر الأمة — التى ألفت الوقف — لو وقف بعض بنيها جزءاً من مالهم على استقلال بلادهم الاقتصادى ، واعتبروا الأسهم من أول يوم وقفا لا بيع فيها ولا شراء . على ان الأمر بالعكس ، فالبيع جائز بقيد واحد وهو أن المشترى يجب أن يكون مصريا ؟

كنا أمام شرين اخترنا أهونهما فهل علينا فى ذلك من ملام ؟

* * *

٢ — ليس فى مصر من يصلح لأعمال البنوك

ان مجال الكلام فى هذا الموضوع واسع نرى الأنسب عدم التوسع فى الخوض فيه . غاية ما نقوله اننا أردنا أن يكون للبنك سياسة خاصة وصبغة أهلية متى تحققت لا تعبأ على يد من تنفذ . فاننا نولى وظائف البنك للأكفأ مهما كانت جنسيته وديانته . ونحن مستعدون للاستفادة من خبرة ومعلومات أى أجنبى كمستشار فنى أو كموظف لا كحاكم ولا مسيطر يحول مجرى سياسة البنك الى غير ما أراده أصحاب الأموال وتقتضيه مصلحة البلاد . وان كان الرجال الصالحون للأعمال المالية بمصر قليلين فليس الذنب عليها ، ولذلك ظروف معلومة ، لن تحول دون البدء فى خلق الجيل الذى يصلح . فمن لم تخرجه المدرسة فالعمل كفيل بايجاده . والوظيفة تخلق العضو .

قيل لنابليون حينما وضع نظام بنك فرنسا الحالى أنه ليس فى فرنسا

رجال ماليون خبيرون بأعمال البنوك ، فقال لهم : هذه طائفة يجب خلقها . وقد خلقت وأصبحت فرنسا بعد قرن يضرب المثل بخبرة رجالها الماليين وعلمهم .

فلماذا لا يصدق على مصر ما صدق على غيرها ؟

اذا استعانت مصر فى بادىء أمرها بغير أبنائها فى بعض شؤونها فما ذلك بالعار عليها خصوصا اذا علمنا أن ٤٠٪ من موظفى ومستخدمى البيوت التجارية بانكلترا الى سنة ١٨٩٨ كانوا من الأجانب وأغلبهم ألمان مما هال غرفة لوندره التجارية ونقابة بقية الغرف بانكلترا وصاحت من أجله طالبة تحقيقا دقيقا عن السبب فى ذلك والعمل على تغيير مناهج التعليم فى البلاد لجعلها وافية بتخريج الأكفاء لتولى هذه الوظائف فيستغنى عن الأجانب . وكثيرون من موظفى بنوك فرنسا ذاتهـا كانوا لوقت قريب ، بل الى الآن أجانب .

أمامنا عقبات لا ننكر صعوبتها سنذللها بفضل الله وحسن ثقة مواطنينا وبثباتنا على أن غيرنا قد بدأ مثلنا ، ولنسأل التاريخ عما أصاب البنوك فى كل بلد فى أول عهدها .

فبصدر واسع نتلقى هذه المسؤولية الملقاة على عواتقنا سائلين الله تعالى أن يخفف حملها علينا وأن يوفقنا الى أقوم السبل وأن يولى أمورنا خيارنا وأن يهدينا الى من يحسن ارشادنا وتعليمنا بنية خالصة وعزيمة صادقة .

وأنى هنا بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن جميع زملائى أعضـاء مجلس الادارة نقرر بأننا مستعدون للتخلى عن كرسى العضوية بالمجلس لكل كفء يتقدم ما دامت ضالتنا المنشودة واحدة وهى الأخذ بيد هذا المولود السعيد الى الأمام لخير البلاد ومصلحتها وهى تتفق فيه مـع مصلحة المساهمين أنفسهم لأنهم مصريون .

٣ ــ عدم استعداد الأمة للأعمال الاقتصادية

وعدم اكتتاب الكبار فى أسهم البنك بمبالغ وافرة

لا ننكر أن الأمة طفلة فى المشروعات الاقتصادية . ولكن أين الأمة التى ولدت عالمة مستعدة بفطرتها لمثل هذه الأعمال ؟ وهل الذنب كما قلنا على الأمة المصرية اذا لم يعلمها أو لم يعودها أحد ؟

سلوا التاريخ أيضا ينبئكم عما قاست كل أمة فى بداية نهضتها . وهل لكون الأمة غير مستعدة تبقى على عدم استعدادها الى ما شاء الله ؟ انها تريد كغيرها أن يهديها هداتها الى الطريق القويم فتسلكه وتتعوده .

فكر بعض المصريين فى تأسيس بنك مصر فعملوا ما يعمله غيرهم من جمع بعض أشخاص يكتتبون فى أى رأس مال أولى يطلب به المرسوم السلطانى . ولم يكن بوسع القائمين بهذا المشروع أن يفتحوا ، قبل صدور المرسوم ، اكتتابا عاما لتظهر قدرة الأمة واستعدادها فلماذا هذه المغالطة والمبلغ الذى جمع ودفعه المؤسسون بأكمله عن طيب خاطر لا يقدم ولا يؤخر ولا يصح اتخاذه دليلا على شىء سوى جمع كلمة بعض أشخاص على استصدار مرسوم سلطانى بتأسيس بنك ليدعى المصريون للاكتتاب العام فيه . وهذا ما دعيت لتقريره الجمعية العمومية غير العادية هذا اليـــوم .

يعترضون بأن المساهمين ليس بينهم من اكتتب بمبالغ كبيرة ولم نسمع قبل الآن بأن البنك يجب أن يكون ملكا لبضعة أشخاص .

نراجع عدد المساهمين فى بنك فرنسا ورأس ماله ١٨٢ مليون فرنك مقسم الى ١٨٢ ألف سهم ومجموع عملياته فى السنة تقدر بالمليارات لا بالملايين نجد أنه كان فى نهاية ســـنة ١٩٠٨ ــــ ٣١٫٢٤٩ مساهما هذا بيانهم :

عـدد	
١٠٣٨١	يملك كل منهم سهما واحدا
٦٥٨٤	يملك كل منهم سهمين
٧١٦٦	يملك كل منهم من ٣ أسهم الى ٥
٣٦٥٣	يملك كل منهم من ٦ أسهم الى ١٠
١٩٤٢	يملك كل منهم من ١١ سهما الى ٢٠
٧٠٢	يملك كل منهم من ٢١ سهما الى ٣٠
٤٥٢	يملك كل منهم من ٣١ سهما الى ٥٠
٢٥٢	يملك كل منهم من ٥١ سهما الى ١٠٠
١١٣	يملك كل منهم أكثر من مائة سهم .

فسبعة وعشرون ألف مساهم من ٣١ ألفا لا يملك كل منهم أزيد من عشرة أسهم وليس بين الأربعة آلاف الباقية سوى ٣٦٥ يملك كل منهم أزيد من ٥٠ سهما ومنهم ١١٣ فقط يملكون أكثر من ١٠٠ سهم .

فأين أغنيـاء فرنسا ؟ هل هم أيضا غـير مستعدين للأعمال المالية حتى أنهم لم يساهموا فى بنك فرنسا بنسبة ثرواتهم .

نعم ان الأمـة المصرية كغيرها من الأمم التى ألفت نوعا من طرق استثمار المال يصعب جـدا تحويلها عما ألفت الى ما لم تألف الا بمرور الزمن والصبر والجلد والمثل الحسن .

فمتى رأت مثلا حيا صالحا اتبعته وسارت عليه ودخل فى عاداتها . وأملنا أن يكون بنك مصر هو ذلك المثل الحى الذى نقدمه للبلاد .

نعرف جيدا أن هذا البنك محتاج لرأس مال كبير أكثر مما يحتاج

اليه بنك آخر مثله . لأن هذا البنك الآخر يقوم عادة ووراءه عضد من حكومته ومن بنك بلاده الأهلى بل ومن بنوك أخرى ربما اشتركت فى تأسيسه . أما بنكنا هذا فكل اتكاله أولا على عون الله واخلاص مساهميه وثقتهم ببعضهم وببنكهم وعضد الأمة المصرية ثم على رأس ماله الذى يجب أن يتناسب مع مجموع عملياته ومع مقدار الأمانات والودائع التى تودع فيه .

* * *

برنامج البنك

ماذا يعمل بنك مصر ؟

يعمل كل ما يعمله بنك تجارى مثله لا فرق فيمن يعامله بين أن يكون مصريا أو غير مصرى . فالمصرية لم تشترط كما قلنا الا فى رأس المال للأسباب التى أوضحناها ، أما فيما عدا ذلك فأبوابه مفتوحة لكل عميل .

فى البلاد أموال كثيرة مخزونة ومعطلة كما قلنا ، وظيفتها فى الأصل التداول بين الناس ولها فى كل حركة بركة وفى كل دورة ربح لرابح ففى خزنها وقوف هذه الحركة وضياع لهذا الربح والفائدة التى تعود على البلاد من زيادة أرباح بنيها فضلا عن تعرض هذا المال للضياع بالسرقة أو الحريق أو ما أشبه . وفى البلاد ودائع وأمانات كثيرة مستثمر معظمها فى بلاد غير البلاد لو استثمرت هذه وتلك فى الشؤون المصرية وسوعدت بهما التجارة والصناعة والزراعة المصرية لزادت الثروة المصرية أضعافا مضاعفة ، ولكان ذلك عاملا قويا على اصلاح حالنا الاقتصادية وايجاد الكفاءة المالية التى هى الأساس المتين للرقى المطلوب . وهذا ما سيجعله بنك مصر نصب عينيه فهو يشجع المشروعات الاقتصادية المختلفة التى تعود عليه وعلى البلاد بالربح العظيم . ويساعد على ايجاد الشركات المالية

والتجارية والصناعية والزراعية ، وشركات النقل بالبر والبحر ، وشركات التأمين بأنواعها ويتعهدها حتى تنمو وتقوى ويشتد ساعدها . وبالجملة يعمل على أن يكون لمصر صوت فى شؤونها المالية ويدافع عن مصالحها كما تدافع البنوك عن مصالح بلادها . ومن فوائده أنه لا يتأثر بالاشاعات المكذوبة فلا يقفل بابه عن الناس لأقل اشارة ترد اليه من الخارج بسبب أو بلا سبب فتحذو حذوه بقية البنوك لأنه بنك البلد وأعلم بما يجرى فيه .

ولا يفهم من ذلك أن بنك مصر سيكيل المال جزافا لمن يستحقه ومن لا يستحقه . كلا . فبنك مصر سيشدد فى التدقيق قبل توظيف أى مبلغ ولا يستثمره الا فى وجوه سليمة مأمونة محقق اتيانها فى الأجل المحدد لها بالأصل والربح وبربح آخر للعميل . فما الأموال التى تستثمرها كل البنوك ، وبنك مصر من ضمنها ، الا أمانات وودائع للغير يجب أن تكون حاضرة لدى طلبها . فلذلك لا تستعمل الا فيما يكون مضمونا ولمن يكون قادرا حقا على الوفاء فى الأجل المحدد .

نعم سيدقق بنك مصر أكثر من غيره لأن مركزه استثنائى والعيون شاخصة اليه .

لن يشتغل بنك مصر على الاطلاق فى المضاربة لنفسه ، ولن يساعد الغير عليها . ولن يقرض الأموال المودعة لديه لآجال طويلة ، فلذلك بنوك أخرى خصيصة به .

نريد أن يفهم الكل أن بنك مصر ليس جمعية خيرية ، ولا ملجأ للعاطلين ، ولكنه محل تجارة يعمل عملا تجاريا على مبادىء وأصول قويمة لن يحيد عنها ان شاء الله تعالى .

سيؤدى بنك مصر لجميع عملائه كل الخدمات المالية التى يحتاجونها

بأجر مناسب . وسيعمل بالاتحاد مع حضرات التجار على تنظيم الحالة التجارية وانشاء الغرف التجارية والنقابات والشركات التعاونية وغيرها للدفاع عن مصالح أعضائها ودرس أنجع الطرق لترقية شؤونهم وزيادة أرباحهم باحسان طرق البيع والشراء وترتيب الأعمال وتنظيم الحسابات كما يعمل بالاتحاد مع أصحاب المزارع والمصانع على تأسيس النقابات وشركات التعاون اللازمة لهم وللدفاع عن مصالحهم ومحاصيلهم ومصنوعاتهم . ولن يرى أحد منهم غضاضة فى ذلك فالبنك بنكهم والقائمون بأموره منهم ومصلحة الفريقين واحدة وضالة الجميع ترقية الشؤون المصرية وتنظيم الحركة الاقتصادية بالبلاد .

وسيعمل على بث روح العمل والتعاون والتضامن والنظام فى الشبيبة وانماء ملكة الاقتصاد والتجارة فيهم والحث على وضع أساس التربية الاقتصادية العملية فى البلاد وجعل تعليم الحساب والنظام الحسابى أساسا فى مناهج التعليم فيها .

هذا هو برنامج بنك مصر سيعمل على تحقيقه تدريجيا بكل تأن وروية فالطفرة محال والتدرج سنة طبيعية ليكون لنا وجود اقتصادى ايجابى ولتكون لنا رؤوس أموال مصرية فى سوق المال تستعمل فى الشؤون العامة المصرية . ويكون لها وحدها الحق فى تحديد سعر الفائدة والقطع فى البنوك .

دخل فى يد كثير من المصريين أموال عديدة فى هذه السنوات الأخيرة ففيم استعملوها ؟

استعملوا معظمها فى نوع الاستثمار الذى ألفوه وهو شراء الطين . فتهافتوا عليه حتى أغلوا ثمنه وأصبحنا نسمع بأن ثمن الفدان قد بلغ فى بعض الجهات ٧٠٠ جنيه !

هذا حسن . ولكن اذا نظرنا الى مجموع الأمة المصرية ، هل نجد ايرادها قد زاد بانتقال الفدان من يد لأخرى وهو هو بعينه يعطى ايراده سواء أكان ثمنه مائة جنيه أم سبعمائة ؟ لا حتى اذا ما عادت المياه لمجاريها ورجع كل شيء لنصابه وجدنا أن تلك الأموال التى دخلت فى يد المصرى واستعملها فى الطين ذهب معظمها هباء فى زيادة ثمن كان له يد فى ايجادها بتهافته على شراء الطين وعدم تنويع طرق استثمار ماله . وهذا التنويع فى مصلحة البلاد التى لا يصح أن تعتمد فى ايرادها وثروتها على نوع واحد من الاستثمار ، وفى البلاد سندات الدين العمومى وسندات وأسهم شركات كثيرة معظمها فى أيد أجنبية كأسهم البنك الأهلى والزراعى والعقارى وشركات المياه والترامواى وغيرها وغيرها. لو استعمل فى شرائها أو فى القيام ببعض المشروعات الاقتصادية الجمة المحتاجة لها البلاد من زراعية وتجارية وصناعية لاستثمار خيراتها ، جانب من أموال المصريين لوجدوا أنفسهم أمام أرباح جديدة تأتيهم من أعمال جديدة — غير الطين — ولحفظوا هذه الأموال والأرباح فى البلاد بدل وجودها فى الخارج أو نزوحها اليه ولعملوا على انقاص مقدار البنكنوت المتداول فى الأيدى وانقاص أثمان الحاجيات لحد ما تبعا لذلك . نعم فى يد المصريين أن يساعدوا على تقليل مقدار البنكنوت المتداول فى الأيدى بأن يستثمروها فى أى مشروع ويشتروا أى قراطيس أو عروض أو على الأقل يودعون كل ما زاد عن اللازم لتمشية حركتهم العادية فى أحد البنوك التى يأتمنونها يستثمرها بدلهم ويحفظها لهم لحين طلبها ففى ذلك تقليل لما فى الأيدى من البنكنوت وزيادة لنسبة الذهب المخصص لتغطيتها . والا فلا يمكن التسليم بأن كل الخمسة والستين مليونا من ورق البنكنوت المتداولة فى الأيدى لازمة للحركة بل لابد من أن جانبا منها معطل بلا فائدة ولا ثمرة يثقل على الأسعار والأسواق .

والمأمول أن يكون بنك مصر خير مرشد وأقوى عامل لتحقيق هذا الغرض .

نعم أن مهمة البنـك شاقة ، ولحسن قيامه بها ها هو يؤمل من حضراتكم ومن الأمة المصرية تعضيدا وتشجيعا وحسن ثقة به . فلننهض من اليوم لندرك ما فات . وماذا نعمل لادراك ذلك أيها السادة ؟

نحوط بنك مصر الذى أنشأناه بجميع رعاياتنا وتأييدنا القائمين به بثقتنا ، وباثباتنا بالفعل أننا نصلح أيضا للبناء والتعمير ، وبالاكتتاب فى أسهمه ، وباغفال كل ما يروجه خصومه من الاشاعات عنه ، وبالأخـذ بيده على الدوام ، وبتقويم كل اعوجاج يراه أحدكم فيه بالحسنى ، وباختيار الأكفاء لمجلس الادارة ، وباتخاذه بنكا حقيقيا للمصريين يجمع المال الزائد لدى البعض ليسد به حاجات البعض الآخر ويقوم بكل خدمة مالية يكلفه بها الكل تنحصر فيه جميع أعمالهم المالية من ايداع وقبض وتكليف بدفع أو تحصيل وشراء أوراق مالية وبيعها وحفظها وتأمينها وقبض كوبوناتها وقطع أوراق وكمبيالات وفتح حسابات جارية وحفظ محاصيل وبيعها لحساب أصحابها والتسليف عليها وتحويل دفعات داخل القطر وخارجه الى غير ذلك مما يتعلق بالمال وحركته بجميع الضمانات والاحتياطات الممكنة وبأجور مناسبة . شارته المكسب القليل كثير بتعدد العمليات ومتى زادت الحركة وكثر المال المودع فيه وزاد الاقبال عليه وأصبح مستودع المال الزائد عند كل عميل يستجره منه حسب لزومه وانحصرت فيه أعمال العملاء يصبح كاتب حسابات عملائه وأمين صندوقهم وخازن مستنداتهم ومراجع حساباتهم ومحصل أموالهم لدى الغـير والموكل عنهم بدفع ما عليهم لمن يريدون والناصح الأمين الذى لا غرض له الا فائدة عملائه ومصلحتهم — أى فائدة البلاد — لأنهم أبنـاؤها وفى اسعادهم اسعادها ولحضراتكم علينا عهد الاخلاص فى العمـل

والتخلى عن العضوية والادارة لكل كفء يتقدم وحسن النية فى كل عمل نأتيه .

واننا واثقون بعون الله وبتعاضد الأمة واقبالها على هذا المشروع العظيم فبنجاحه تحقيق لأكبر آمالها وهو الاستقلال الاقتصادى والله تعالى المسئول أن يمدنا جميعا بروح منه ويوفقنا الى ما فيه الفلاح والنجاح .

خطبة طلعت حرب بك

فى افتتاح فرع بنك مصر بالمحلة الكبرى

فى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٤

سادتى الأعزاء :

سلام عليكم ثم شكر لست أستطيع أن أوفيكم حقه . شكر على عواطفكم الجميلة واحساساتكم النبيلة التى ساقتكم معنا للاحتفال بهذا اليوم السعيد . يوم افتتاح فرع لبنك مصر فى مدينتكم الزاهرة .

وكم كنت أود أيها السادة أن تتهيأ لنا فرصة هذا الاجتماع قبل اليوم بزمن طويل لولا أن نجاح فكرة (بنك مصر) — هذا النجاح الظاهر من شدة اقبال المصريين واطراد أرباحه والتوسع فى دائرة أعماله — قد جعل الأهالى فى مختلف بلدان القطر يتسابقون فى طلب تأسيس فروع بها ويلحون فى انجازها بأسرع وقت حتى تقوم بالخدمات التى تعرف المصارف الوطنية وحدها كيف تقوم بها للأهالى . وقد انهالت علينا هذه الطلبات مما يدل على ثقة البلاد فى (بنك مصر) واطمئنانها الى مستقبله الباهر المتين برعاية الله ومعونة المصريين . غير انه لم يكن من المستطاع تأسيس هذه الفروع كلها دفعة واحدة فى مختلف الجهات ولذا كان لا مفر من تقديم بعضها عند التنفيذ على البعض الآخر .

ولو أن حكما عدلا فصل فى موضوع أولوية مركز على آخر وجهة على أخرى من الجهات التى رغبت فى تأسيس فرع لبنك مصر لقضى فى هذا بالأولوية لمدينتكم العامرة .

ولم هذا ؟

ألأن مدينتكم جمعت بما يحيط بها من خضرة سندسية وما يتخللها من أبنية فخمة عالية بين جمال الطبيعة الريفية وجمال العمارة فى المدائن الناشــئة ؟

أم لأنها مدينة قديمة قد نجهل اسمها الجغرافى عند قدماء المصريين وان كنا لا نجهل أن منطقتكم هذه كانت منذ أن تكونت الدلتا عروس الوجه البحرى فى الحضارة والعرفان والعمران ؟

أم لأن منطقتكم هذه كما امتزجت بمدنية قدماء المصريين امتزجت أيضا بمدنية العرب التى اتخذها المصريون مدنية لهم وصقلوها بميزتهم الخاصة بفطرتهم وذكائهم وذوقهم ؟ أليس بين القرى المجاورة لبلدانكم أسماء عربية صميمة تدل على أثر المدنية العربية المصقولة فى هذه الجهات؟

قد يكون هذا وذاك . ولكن المحقق هو أن لمدينتكم ميزة خاصة قل أن تشاركها فيها مدينة مصرية أخرى . وهذه الميزة هى أنها تمثل نوعا من التــوازن الاقتصادى والاجتماعى الذى نرجــو أن يسود جميع جهات القطر المصرى . أنها بمجهود رجالها العاملين نموذج المدينة المصرية فى المستقبل القريب . أنها تمثل التناسق الجميل بين الانتاج الصناعى والانتاج الزراعى بل هى تمثل المدينة العصرية فى الاقاليم الريفية أى أنها تمثل كيف تتحول المدينة من سكونها المحدود وسط الحقول الى المدينة العامرة بالصنائع تتحرك الأيدى العاملة فيها كما يتحرك النحل فى خلاياه . وتمثل كيف تتحول من ضواحيها الأيدى العاملة فى الزراعة الى أيد عاملة فى الصناعة . وفى هذا التطور والتحول تحقيق لأمنية من أكبر الأمانى القومية وهى ايجاد طبقات اجتماعية عاملة مختلفة الجهود يكمل بعضها بعضا ويتكون من مجموعها وحدة أهلية متنوعة الوظائف لا يتم بدونها الاستقلال الاقتصادى المنشود .

انى لا أبالغ ، أيها السادة ، فى تقدير مركز مدينتكم واتخاذها نموذج هذا التوازن . وفى وسعى أن أثبت لكم بالأرقام ما أقول ولو أنى أسرع فأرجوكم ألا تزعجوا من الاشارة الى الأرقام فلست أقدم لكم منها الا القليل المنتج للدليل .

ان فى القطر المصرى عيبا جوهريا فى تكوين طبقاته العاملة وتوزيع جهودها على مختلف نواحى الانتاج . وقد نشأ عن هذا العيب اختلال فى التوازن الاقتصادى والمالى يكفى للتدليل عليه أن تقارن بين العاملين على الانتاج الزراعى والعاملين على الانتاج الصناعى ثم العاملين فى التجارة عندئذ نرى أن العاملين بين مصريين وأجانب وذكور وأناث يبلغون فى الأعمال الزراعية ٤ر٠٠٨ر٩٠٠ شخص فى حين انهم لا يزيدون عن ١٥٧ر٥٢٦ فى الأعمال الصناعية . أى أن المشتغلين بالصناعات يبلغون ثمن العاملين فى الزراعة . وفى حين ان المشتغلين بالتجارة لا يزيدون عن ٢٧٦ر٥١٠ أى نصف المشتغلين بالصناعات و ١/١٦ من المشتغلين بالزراعة .

هذه الأرقام الثلاثة التى قدمناها لحضراتكم تنطق صراحة باختلال التوازن فى توزيع المجهود الانتاجى . والقاعدة التى دلت عليها التجارب أن الاستقلال الاقتصادى يتكون من تنظيم جهود الانتاج وتوجيهها بتناسق الى جميع جهاته من زراعة وصناعة وتجارة بحيث لا يكون الاهتمام بناحية من هذه النواحى أكثر مما تقتضيه طبيعة الأشياء وضرورة التوازن سببا فى تعطيل الاهتمام بناحية الانتاج الأخرى . وهى اذا تعطلت وجدت الحاجة الى الغير فيما ينقص هذه الناحية من انتاج . وبقدر ما توجد الحاجة الى الغير فى زراعة أو صناعة ينقص الاستقلال الاقتصادى بما يوازى قيمة هذه الحاجة مهما كان لها بدل من المنتوجات المحلية . وتزداد التبعية الى هذا الغير فيقل مقابلها شىء من رخاء البلاد يرحل الى بلاد هذا الغير .

ولهذا كان التوازن الاقتصادى فى توزيع مجهودات الانتاج ناموسا جوهريا فى حيـاة الأمم . ولا توجد لتحقيق هـذا التوازن نسب حسابية ثابتة كأن يقال مثلا بأن التوازن يستلزم ثلث المجهود للزراعة وثلثه للصناعة وثلثه الأخير للتجارة وأنواع الوظائف الاجتماعية الأخرى من ادارة وتعليم ومهن حرة . كلا . لأن البحث عن حدود ونسب هـذا التوازن متعلق بطبيعة البلاد وعادات أهلها ومناخ اقليمهم وحاجاتهم الاجتماعية وحاجات الأسواق الخارجية من منتوجاتهم . انما الذى نقول هو أنه كلما تعددت وتنوعت مجهودات الانتاج وتقاربت فى نسـبها بعضها الى بعض وجد التناسق الذى ينتج أكبر رخاء ممكن فى البلاد . فاذا كانت البلد خصبة فى أرضها صالحة للاستغلال الزراعى كان طبيعيا أن تستدعى مجهودا فى هذه الناحية أكثر من المجهود فى كل ناحية من نواحى الانتاج الأخرى . واذا كانت طبيعة البلد جبلية غنية بمناجمها ومعادنها كان طبيعيا أن يكون الاهتمام بالصناعة مقدما على سواها . هذا أمر بدهى .

انما مهما تكن أحكام الطبيعة فى تكوين بيئات الأمم فان للانسان حاجات تتسع باتساع مدنيته . وهذه الحاجات اذا استطاع أن ينتجها فى بلاده كان هذا أدعى لزيادة رخائه من الالتجاء الى الغير فيها . لهذا اتجهت الشعوب الراقية الى الاشتغال بما تقتضيه طبيعة البيئة ان صناعية وان زراعية ولكنها اتجهت أيضا الى تكميل النقص بمجهود انسانى متواصل حتى يتم التوازن فى الانتاج ويقل الالتجاء الى الغير ويتحقق الاستقلال الاقتصادى.

خذوا مثلا البلاد الأخرى وقيسوها على حالة بلادنا . خذوا مثلا البلاد الصغيرة التى يبلغ سكانها ثلث أو ربع سكان القطر المصرى . ماذا ترون اذاً ؟ ترون بلجيكا بلادا صغيرة فى حدودها كبيرة فى جهودها .. ترونها مثال الأمة النشيطة . عملت على التوازن بين الزراعة والصناعة

ففاضت منتوجاتها وأموالها عن حاجاتها وخرجت تبحث عن منافذ لها فى الخارج . وهذه الشركات البلجيكية ماثلة أمامكم فى بلادنا بين شركة مصر الجديدة وشركة ترام القاهرة وبنك بلجيكا فى الخارج وصندوق الرهنيات والشركة العقارية الصناعية وشركة الأسمنت بالمعصرة وشركة المقاولات للمبانى (ليون رولان وشركاه) الى غير ذلك من شركات صناعية وتجارية ومالية شتى .

ثم ماذا ترون ؟ ترون سويسرا بلادا كثرت هضابها وقلت وديانها ومع هذا اعتلى فلاحها الهضاب وبسط عليها من أنواع المنتوجات أصنافا شتى . أما نحن وبلادنا منبسطة انبساط الوادى ينساب فيه النيل فقد وقفنا عند زراعة أساسية واحدة وجمدنا عن تنوع الزراعات . وترون سويسرا بلادا ليس فيها أثر للفحم ولا منجم واحد لاستخراج الحديد أو الفولاذ أو أى معدن آخر من معادن الصناعة الا القليل التافه الذى لا يعتد به . ولكنها عرفت كيف تبادل الغير بزبدها وجبنها وخشب غاباتها حتى تحصل على الفحم والحديد والفولاذ فتنشىء أكبر الصناعات من أدق آلات الكهرباء . الى جهازات قطارات السكك الحديدية والبواخر . الى أرق منسوجات المخرم بالقطن المصرى فى مقاطعة سان جال .

ثم ماذا ترون؟ ترون السويد والنرويج بل ترون فنلندا المنفصلة حديثا عن الروسيا بلادا صغيرة فى تعداد سكانها واسعة فى مساحة أراضيها ولكنها بلاد الثلوج والغابات . تنتج غاباتها أخشابا فتتحول فى أماكنها الى ورق ذاع صيته فى الخافقين . فالغابة والعناية بالغابة مجهود زراعى . وفاوريقة الورق مجهود صناعى . وتصريف الورق مجهود تجارى . وقد تناسقت هذه المجهودات الثلاثة تناسقا أوجد التوازن الاقتصادى المنشود.

كل هذه الدول الصغيرة غنية بفضل تنويع مجهـوداتها وتوازنها وبالرغم من قلة عدد سكانها . فهى فى رخاء لا يشبه رخاءنا فى مصر .

ولا أطيل عليكم الأرقام وأساليب التدليل لتقرير انه اذا كان المصرى يتمتع بجزء واحد من نعم المدنية والحياة فان كل ساكن من سكان تلك البلاد يتمتع بعشرة أجزاء . لا لشىء الا لأن لديهم التوازن فى الانتاج . ونحن محرومون من هذا التوازن فى مصر .

حقا أن مصر بلاد زراعية . وانها كانت زراعية منذ الأزل . ألم يكن فيها قديما من فائض الخيرات والغلال ما كانت تمد به البلاد الأخرى عطفا واحسانا كلما حلت بجارتها ضائقة أو اجتاحتها جائحة ؟ ثم هى ستبقى زراعية الى الأبد ما دام النيل يجرى فى مجراه وما دام المصريون واثقين من السيطرة على منابعه . ألم يقل هيردوت ما قاله كهنة المصريين من ان « مصر هدية النيل » ؟ واذا كانت مصر هدية النيل حقا فان المصريين خاضعون لأحكام هذه الهدية مضطرون بحكم الطبيعة وبحكم الوراثة وبحكم الحاجة أن يحولوا أرض النيل فى مواعيده من « عنبرة سوداء الى لؤلؤة بيضاء الى زمردة خضراء » . فلا عجب اذا كان العاملون فى الزراعة يعدون بالملايين بينا العاملون فى الصناعة والتجارة يعدون بالآلاف .

ولكن لكل زمن أحكامه . ففى الزمن القديم حيث كانت مصر تغدق بغلاتها وحاصلاتها الزراعية اغداقا كلما أصيبت جاراتها بمجاعة . فى هذا الزمن كانت مصر تتاجر مع هذه الجارات فى أوقات الرخاء . وكانت تبعث من مصنوعاتها أصنافا وألوانا بين فلك وملابس من كتان وفؤوس ومواعين وعقاقير وأعطار وحلى وغير ذلك مما يدل على أن التوازن الانتاجى لم يكن ليجهله قدماء المصريين .

أما الزمن الحديث الذى نعيش فيه فيستدعى أكثر من كل زمان آخر من حياتنا التاريخية أن يزيد اهتمامنا بالصناعة على الأقل فيما لدينا من موادها الخام ولو قلت الأيدى العاملة فى الزراعة . بل ان من الطبيعى

انه كلما زاد العاملون فى الصناعة قل العاملون فى الزراعة وكلما زاد التناسب فى الانتاج بينهما زاد التوسع فى أعمال التجارة .

وليس يخيفنا نقص عدد العاملين فى الزراعة بسبب تحويل بعض الجهود الى الصناعة لأن هذه هى سنة التحول من لا صناعة الى صناعة أو من صناعة صغيرة الى صناعات كبيرة . ولأن النقص فى الأيدى العاملة اذا وصل الى حد يقل عن الحاجة كانت الحاجة أم الاختراع . والاختراع موجود وهو آلات زراعية نعرض عنها الآن لكثرة الأيدى العاملة . وسيأتى حين" نقبل عليها ونحسن فيها ونجعلها ملائمة لطبيعة أرضنا ولا يعوقنا ارتفاع أثمانها عن استعمالها لأن فكرة التعاون الزراعى تكون قد تمكنت من جماعات المزارعين والمنتجين تمكنها فى البلاد الأخرى فتتحد النقابات فى عدة قرى لشراء ما يلزمها منها واستخدامه بدل الأيدى فى فلاحة الأرض وخدمتها واجتناء محصولها . وبودى أن يقوم اخصائى فيقوم حاصلاتها الزراعية بنسبة الأيدى العاملة فيها . ويقوم الحاصلات الزراعية فى بلد مثل ألمانيا بنسبة الأيدى العاملة فيها أيضا . وهناك يظهر الفرق بين البلدين . وهناك يظهر ان هذا الفرق راجع الى عاملين . عامل الآلات الزراعية فى الزراعة وعامل اتقان الأساليب الفنية الحديثة فيها . فالآلة وتحسين فن الزراعة يغنيان كثيرا عن مليون أو أكثر من مليون عامل يتحولون من الزراعة الى الصناعة . فضلا عن هؤلاء العاطلين الكثيرين الذين تؤويهم الصناعة بعد أن لفظتهم الزراعة فانهم عند التوازن يصبحون عمالا نافعين فيقل باشتغالهم عدد العاطلين ويضعف عامل قوى من عوامل الاجرام المتزايدة عاما بعد عام .

* * *

واذا تقرر أننا مصابون فى عموم القطر باختلال فى التوازن الاقتصادى ناشىء عن توزيع الجهود القومية توزيعا غير متناسق ولا متناسب بين

مختلف نواحى الانتاج من صناعة وزراعة وتجارة . وتقرر مما تقدم أن هذا الاختلال مقلل للرخاء مضعف لتحقيق الاستقلال الاقتصادى فلتسمحوا لى أن أنتقل الآن من العام الى الخاص . من القطر المصرى الى مدينة المحلة الكبرى . وأن أثبت لكم أن مدينتكم خالية فى تكوينها الاجتماعى من العيب العام . عيب فقدان التوازن الاقتصادى فى الانتاج .

ولست أطيل القول عليكم فى ذلك ويكفينى لاقامة الدليل أن ألفت أنظاركم الى خمسة أو ستة أرقام أرجوكم أن تعيرونى التفاتا فى تأملها . أما الرقم الأول فخاص بتعداد مدينة المحلة الكبرى — لا مركز المحلة الكبرى — وهو يبلغ ٣٨٫٠٨٨ نفسا . ويبلغ العاملون من هذا العدد ١٠٫٤٥٨ وجهود هؤلاء العاملين موزعة بالكيفية الآتية :

	العــدد	النسبة فى المائة
المشتغلون بالأعمال الزراعيـة	٢٫٧٤٠	٢٦
« بصناعة المنسوجات	٣٫١٦٧	٣١
« بالصناعات الأخرى	٢٫٧٠٧	٢٦
« بالتجارة	١٫٨٤٤	١٧
المجموعة	١٠٫٤٥٨	١٠٠

وهذا هو مثال التوازن فى توزيع جهود الانتاج . فان ٣١ فى المائة من هذه الجهود موجهة الى صناعات النسيج كأن هذه الصناعات تشغل الحيز الأول من حياة المحلة الكبرى . ثم يليها الأعمال الزراعية . ومن البدهى أن تأتى الأعمال الزراعية فى مدن الأقاليم فى الصف الثانى من الانتاج . لأن المدن للصناعة ويجب أن تتحول من الزراعة الى الصناعة . ثم يلى ذلك الصناعات الأخرى خلاف صناعات النسيج ثم التجارة .

هذا التوزيع المتناسق فى توجيه الجهود العاملة هو الذى نود أن يسود جميع المدن المصرية سواء فى صناعات النسيج أو فى صناعات الكهرباء والحديد . نود أن يكون فى كل مدينة من العاملين فى الصناعات ومن رؤوس الأموال المودعة فى الصناعات ، ما يساعد على ايجاد التوازن العام بين الانتاج الزراعى والانتاج الصناعى للقطر المصرى .

وكما أن التوازن الاقتصادى قد أنتج النتائج الباهرة فى الدول التى قدمناها لكم مثلا كذلك قد أنتج هذا التوازن فى مدينتكم وبنسبتها المحدودة نتائج جديرة بالاعتبار .

اننى لا أبحث عن ممتلكاتكم لأقرر أن نسبة الثروة العقارية ورؤوس الأموال المودعة فى صناعاتكم ومتاجركم من أكبر النسب المعروفة فى القطر المصرى . ولا أبحث عما لكم وعما عليكم لأقرر ما قد يكون صحيحا وهو انكم من أقل المدن استدانة . لا أبحث عن هذا وذاك وانما يكفى أن أستدل على حالة الرخاء بما يرى فى مدينتكم من عمارات فخمة فاخرة قل أن يوجد مثلها فى بندر من البنادر الأخرى .

وقد أنتج التوازن فى مدينتكم عدم جمود رأس المال وبقائه من غير تشغيل أو تشغيله فى حدود ضيقة فتحرك وانتقل من الايداع فى الأراضى الزراعية وحدها الى التشغيل فى الحاجات الصناعية وفى الأعمال التجارية فدار بدل الدورة الواحدة فى الزراعة دورتين أو ثلاث دورات فى الصناعة والتجارة فى خلال العام الواحد . وترتب على سرعة دوراته تنشيط الأيدى العاملة وتشجيع المبادلة وشحذ العقول المفكرة حتى تسرع بالانتفاع قدر سرعة الدوران .

وأنتج التوازن فى مدينتكم زيادة الشوق الى العرفان والاقبال على التعليم . بدليل أن الملمين بالقراءة والكتابة فى المحلة الكبرى يبلغون

٨٤ فى الألف . فى حين انهم لا يزيدون فى مجموع بلاد القطر عن ٦٨ فى الألف . وهم فى بقية جهات مركز المحلة الكبرى التى جسدت على الزراعة وحدها يبلغون ٤١ فى الألف . وفى نفس مديرية الغربية فى عموم متوسطها يبلغون ٦٠ فى الألف . فمدينة المحلة الكبرى تسبق فى هذا الباب المتوسط العام للقطر المصرى ولمديرية الغربية ولمركز المحلة الكبرى .

وأنتج التوازن فى مدينتكم ان قلت الجرائم فيها عن بقية القطر . فان نسبة ما وقع من جرائم حقيقية بين جنايات وجنح ومخالفات بلغت للقطر المصرى ١٥ فى الألف . ولمركز المحلة الكبرى ١٢ فى الألف . ولو ان الاحصاءات الرسمية فصلت ما يخص مدينتكم دون مركزكم لاتضح ان نسبة الجرائم التى ترتكب بين جدران مدينتكم أقل من هذه النسبة .

وقد يعترض علينا عالم جنائى فيقول أنتم تخطئون لأنه حيث يوجد التوازن الاقتصادى يوجد الرخاء وحيث يوجد الرخاء تزيد الشهوات فتزيد الجرائم . وجوابنا ان هذا صحيح فى الأوساط التى انتزعت من قلوبها الرحمة فقامت البيئة الاجتماعية على الجشع والاستئثار بالرخاء فى طبقة والذل والاستعباد فى طبقة أخرى . أما فى مصر والرحمة قائمة فى القلوب ومبادىء الدين الاسلامى تحض على التضامن والمؤاخاة والعطف والاحسان فان الرخاء الناشىء عن التوازن قائم وسط بيئة أخلاقية رحيمة تؤاخى بين الناس ولا تثير العداء فيقل فيها الاجرام ولا يزيد .

ليس صحيحا اذن أن يستلزم الرخاء زيادة ارتكاب الجرائم . ولكن الصحيح ان زيادة الرخاء تستلزم كثرة المبادلات ومضاعفة المعاملات . وحيث تكثر وتتضاعف يكثر التعاقد . وحيث تكثر العقود يكثر الاختلاف على تفسير أو تنفيذ شروطها فيكثر بالتالى الالتجاء الى المحاكم

فتكثر القضايا المدنيـة أمامها . ولا تقل القضايا المدنية فى وسط من الأوساط متزايدة الرخاء الا حيث توجد وسائط أخرى للفصل فى المنازعات المدنية كمحاكم التجارة وهيئات التحكيم ومحاكم الفصل بين أصحاب المال والعمال . وعلى هذا فاننا لا نخطىء فى الاستنتاج اذا شـاهدنا أن متوسط ما يصيب الألف ساكن فى مركزكم هو ٥٧ قضية مدنية وان ما يصيب الألف فى مجموع القطر ١٢ قضية . وأن تعليل هذه الزيادة راجع الى رخاء مدينتكم وان هذا الرخاء ناشىء عما وضحته لكم من التوازن فى توزيع جهودهم وتوجيهها بتناسق الى خير جهات الانتاج .

هذه هى النتائج الباهرة التى نلمسها بالمحسوس والأرقام الصريحة والتى وصلت اليها مدينتكم بفضل هذا التوازن .

* * *

بقيت لى كلمة أرجوكم صبرا على سماعها . كلمة عن صناعة النسيج التى يرجع اليها الفضل فى احداث التوازن والتناسق فى توزيع جهودكم وتنسيقها . اذ لولا وجود ١٦٧ر٣ عاملا وصاحب معمل يشتغلون بهذه الصناعة لانقلب التوازن فى مدينتكم فصارت كالمدن الريفية الأخـرى لا تمتاز عنها بشىء . بل لا نبالغ اذا قلنا ان صناعة النسيج للمحلة الكبرى كالعمود الفقرى فى الجسم البشرى .

لست أدرى فى أى وقت سبقنا أجدادكم الكرام فخرجوا من المجهود الزراعى — الذى لا زالت بلاد القطر منغمسة فيه — الى الاشتغال بالصناعة ولا سيما صناعة الغزل والنسيج . وكم نتمنى أن يقوم من أبنائكم من يختص بتاريخ الغزل والنساجة فى الخارج وفى مصر حتى يستجمع لنـا من آثار الأجداد السالفين ما يسمح لنا بمعرفة تاريخ اشتغالكم بهذه الصناعة النفيسة . وكم نود أن نهتدى بضوء تاريخكم

لنعرف المجهود الطويل الذى صرفته أجيال من أبطال المحليين لتدعيم صناعات النساجة فى المحلة الكبرى . نريد أن نعرف هذا لنقدر المرحلة التى قطعها الآباء والأجداد . والمراحل التى يجب علينا قطعها فى الحاضر . وعلى أولادنا وأحفادنا قطعها فى القادم . والى أن نعرف هذا التاريخ على أساس المستندات الصحيحة نستطيع منذ الآن أن نقرر انكم لستم أحداثا فى صناعة النسيج . فقد ورثتموها عن آباء ورثوها عن أجداد . ولدينا على هذا بعض شواهد نسوقها دليلا على اشتغالكم بها منذ مائة عام على أقل تقدير .

منها أن كلوت بك كتب فى كتابه الشهير عن مصر سنة ١٨٤٠ انه كان فى مصر وقتئذ ١٥ وسطا للغزل والنسيج تنتج مليونى قطعة قماش . وان المحلة الكبرى كانت وسطا كبيرا من هذه الأوساط المعدودة .

ومن الشواهد أيضا انه لما أقامت فرنسا معرضا عاما فى سنة ١٨٦٧ وأراد الخديوى اسماعيل أن تمثل مصر فيه ، وقد مثلت فيه فعلا تمثيلا استقلاليا أغضب الدولة العلية وقتئذ ، وقع الخيار على أحسن ما يعرض من منتوجات البلاد ومصنوعاتها فكان مما وقع عليه الاختيار منسوجات من المحلة الكبرى قطنية عرضت فى مجموعة رقم ٢٧ من هذا المعرض . وصوفية عرضت فى مجموعة ٢٨ منه . وفوط من الصوف والحرير عرضت فى مجموعة ٢٩ . وقد أثبت هذه الحقيقة التاريخية المسيو شارل ادمون المكلف من قبل الحكومة المصرية وقتئذ بتنظيم القسم المصرى فى هذا المعرض والذى كتب مؤلفا خاصا بهذا القسم وطبعه فى سنة ١٨٦٧ نفسها .

واذا كنتم قد أنتجتم من المنسوجات القطنية والحريرية ما يستحق أن يعرض باسم مصر وفى وقت كان لا يرضى فيه الخديو اسماعيل أن

يعرض باسم مصر الا كل طريف وثمين . وكنتم أنتجتم هذه المنسوجات منذ ستين عاما أى منذ جيلين فلا عجب أن تكون شهرة منسوجاتكم قد تأصلت فى البلاد . ونحن فى حياتنا لازلنا نذكر كيف تحسنت صناعتكم وكيف بقيت متينة مع تعدد أصنافها وتنوع ألوانها وجمال ذوقها .

غير انى لا أخدعكم فأذكر ما يحسب لكم وأسكت عما يحسب عليكم وأنتم ونحن من رجال الأعمال نستعمل هذه الطريقة « الدوبية » فى الحسابات . فلم لا نستعملها فيما يشغلنا من شؤون عامة ؟

أذكر اذن ما يحسب عليكم بعد أن ذكرت ما يحسب لكم . أذكر ان مما يحسب عليكم انه بالرغم من توارثكم هذه الصناعة من الأجداد الى الآباء ومن الآباء الى الأبناء فانها لا تزال فى مدينتكم على حال تقرب من الفطرة . لا لأنكم لم تحسنوا شيئا من منسوجاتكم فليس من العدل أن ينكر عليكم ادخال التحسين فى أصناف منسوجاتكم من حيث متانتها ودقة صناعتها ورواء بهجتها . بل لأنكم ما زلتم تعتمدون على الأيدى بدلا من اعتمادكم على الآلات . صحيح ان عمل اليد أدق وأمتن من عمل الآلة . وان هذه قد تكون ميزة المنسوجات المحلية . ولكن فوائد الآلات لا تعادلها أية فائدة من صناعة اليد . سيما وان آلات النساجة قد دخلها من التحسين ما يجعلها قادرة على انتاج ما لا تستطيع اليد انتاجه من الدقة . وخصوصا لأن الأفق التجارى ينبغى ألا يبقى على الدوام محدودا بكمية محدودة تصرف فى دائرة محدودة . ويتحتم أن ينتقل من هذا الأفق المحدود الى أفق أوسع مدى وأبعد حدودا حتى لو وصل الى حدود الغرب . والانتقال الى هذا الأفق البعيد لا يتأتى بالاستمرار على الصناعة باليد . فيجب اذن أن تحل الآلة محل اليد .

ان محمد على كان قد نهض بالبلاد نهضة صناعية عامة ما عاشت حتى ماتت أو كادت تكون فى حكم الأموات بموته . وهل تدرون السبب الحقيقى لتدهور الصناعة فى عصره ؟ السبب الجوهرى هى أنها قامت على وسائط يدوية أو ميكانيكية بقوة دواب الحمل . وهى قامت بهذه الوسائط فى وقت كان قد أحدث اختراع البخار ثورة اجتماعية واقتصادية هائلة تحولت بها الصناعات فى أوروبا وأمريكا من الطرق الميكانيكية الحيوانية الى الطرق الميكانيكية البخارية . فلم تستطع صناعات مصر أن تنافس مصنوعات أوروبا فانهزمت أمامها .

والآن نحن لازلنا تقريبا عند حد الوسائط التى كانت تستخدم . فقد كان لديكم ٢٤٥٥ نولا فى سنة ١٩١٧ حسب ما تبين من المعلومات التى جمعتها وقتئذ لجنة الصناعة والتجارة . وربما يكون لديكم الآن ثلاثة آلاف نول . وماذا يمكن أن تصنع هذه الأنوال بجوار الملايين من الأنوال التى قد تحويها مدينة واحدة من مراكز الصناعة القطنية وحدها ؟

ان بقاءكم على هذه الحال من الأنوال قد يدوم بفضل متانة صناعتكم اليدوية ولكن ربحكم منها يبقى على الدوام ضئيلا محدودا . ويستحيل مع هذه الحال أن تتحول مدينتكم الى مركز صناعة كبرى . وهى اذا تحولت وتطورت فى أدوات عملها أنتجت كثيرا . وأنتجت مع العناية منسوجات دقيقة متينة لا تقل عن دقة ومتانة اليد . ومتى أنتجت كثيرا بحثت عن موارد التصريف فوجدتها حتما داخل البلاد وخارجها لا سيما فى بلاد المشرق القريب .

نحن لا نريد بهذا أن نقول باحداث ثورة فى صناعات المحلة الكبرى وقلبها بين عام وآخر من نظامها اليدوى الحالى الى نظام آلى . بل نريد أن نقول ان صناعات النسيج فى القطر المصرى لا يصح أن تعتبر صناعات

ذات أثر حقيقى فى رخاء البلاد وثروتها مالم تتحول بالتدريج هـذا التحويل من الأيدى الى الآلات .

ولدينا الآن ميزة . وهى أن العصر الحاضر هو عصر تحويل الآلات البخارية من الفحم الى المازوت . والمازوت يستخرج من بلادنا بمقدار عدة آلاف من الأطنان . ومن الميسور حجزه لحاجات القطر الداخلية مقابل الاتاوة التى تفرضها الحكومة على الشركات . وعليه فنحن نربح عند تركيب الآلات الصناعية اعدادها منذ وضعها للادارة بالمازوت . ونربح الاعتماد ، فى الوقود ، على مادة موجودة فى البلاد .

والعصر الحاضر أيضا هو عصر الكهرباء . فترى كثيرا من الصناعات فى الغرب قد سارت شوطا بعيدا فى طريق التحول من البخار الى الكهرباء أما نحن فى مصر فانه اذا تيسر لنا الانتفاع بمساقط المياه من خزان أسوان وبقية الخزانات والأهوسة الواقعة على النيل كان لدينا ينبوع عظيم الشأن من الكهرباء اللازمة لاحياء الصناعات الكبرى فى مصر بدون حاجة الى وقود من الخارج . وقد يكون من مساقط المياه القريبة من المحلة الكبرى ما يكفيكم لانشاء مصانع الغـزل والنسيج بالكهرباء تأتيكم رخيصة وتستضيئون بها فى البيوت .

ومما يحسب عليكم ، كما يحسب على القطر كله : أنكم تعملون للنسيج ولا تعملون للغزل . أى أنكم تشترون خيوطكم من الخارج . ولا يمكن أن تحيا صناعة النساجة وتتحول الى صناعة كبيرة لم تكن مسبوقة بصناعة الغزل ومقرونة بصناعة الصباغة . ومما يؤخذ عليكم بالذات أنكم تشتغلون فى المنسوجات الحريرية منذ زمن بعيد وتكتنف مدينتكم الأراضى الواسعة تملكونها ومع هذا ليس فوقها أى عنـاية بأشجار التوت لتربية دود القز بدليل أنه لا يوجد واحد فى المحلة الكبرى

يشتغل بتربيتها فى حين أنه يوجد لديكم ٧٧ شخصا يشتغلون بتربية النحل . ويكفى أن تأخذوا مثلا من أرباب المصانع فى منشستر وأن تعلموا كيف يهتمون بزراعة القطن فى جميع أنحاء العالم وامتلاك ناصية المحصول اللازم لمصانعهم لتعلموا أن الله منحنا أحسن أرض تنتج من التوت لدود القز ما يغنى عن أكبر محصول للقطن . وما يغنى عن متابعة صناع منشستر الى حقول الأمم الأخرى تستعمرها لغايات مصانعها الاقتصادية .

ان هذا يحسب عليكم والذى صارحتكم فيه تمام المصارحة لا ينفى الثقة فى حاضر مدينتكم ولا فى مستقبلها الباهر . فهى فى مصر كما كانت منشستر فى انجلترا منذ قرنين وكما كانت ليون فى فرنسا قبل قرن ونصف قرن من الزمان . وكما كانت ميلوز فى الالزاس واللورين منذ مائة عام . وستصبح بعد القليل من عشرات الأعوام بفضل جهودكم وعنايتكم منشستر وليون وميلوز مصر . وان فى قدرتكم أن تقطعوا المرحلة المتأخرة من حياة صناعتكم بالاعتماد على الاكتشافات الحديثة فلتثابروا على عملكم وليكن أفق آمالكم واسعا لتعملوا دائما فى حزم واقدام . وفى مثل عملكم فليتنافس المتنافسون .

سادتى :

أرانى قد أطلت الكلام عن مدينتكم . وعذرى فى الاطالة أنى أحبها كما تحبونها . أنتم تحبونها كوطن صغير لكم وأنا أحبها كبيئة من أحسن البيئات استعدادا لصناعات الغزل والنساجة الكبرى .

والآن أحدثكم عن معشوقة أخرى ليس بينها وبين مدينتكم الا كل محبة وصداقة وكل تضامن متين فى المصلحة العامة .

أحدثكم عن بنك مصر . أحدثكم عن البنك الوطنى الحقيقى الذى

يشعر بما يشعر به أهل كل جهة من جهات القطر . ويشعر بحاجات البلاد لتحقيق استقلالها الاقتصادى . ويعمل قدر جهده لبلوغ هذه الغاية العظمى .

أحدثكم عنه وهو يشعر معكم بأهمية مدينتكم الحاضرة وبمستقبلها الباهر القريب . ويعتبر نفسه سعيدا اذا هو اشترك معكم ، اشتراك الأخ مع أخيه ، فى المعاونة على تأسيس هذا المستقبل الجميل .

ان (بنك مصر) هو فى الأصل بنك للودائع . فهو يقوم أصلا بأعمال مصارف الودائع من قبول ودائع وتسليف على بضائع وبيع وشراء حوالات وفتح حسابات وتسهيل معاملات ومقايضات ومبادلات .

غير أنه لما كان (بنك مصر) قد تأسس بأموالكم وأموال المصريين . وقام بادارة مصريين فقد كان من الطبيعى ألا يقف عند حدود مصارف الودائع دون أن يشعر بحاجات البلاد الى المشاريع الاقتصادية والمالية النافعة ويسعى الى تحقيقها ما وجد الى هذا السعى سبيلا . وهو قد وفق الى هذا السعى بفضل الله وفضل نجاحه وفائض أرباحه . وطريقة هذا هو أن قرر المساهمون فيه ألا يحصلوا على حصتهم فى الأرباح كاملة بل أن يكتفوا منها بحصة معقولة بلغت فى العام الماضى سبعة ونصفا فى المائة على أن يخصص باقى الأرباح بعضه لاحتياطى اضافى خلاف الاحتياطى القانونى وبعضه للمساهمة فى المشروعات المالية الاقتصادية النافعة تشجيعا لها وتعضيدا لتحقيق نفعها للبلاد . وهذا الفائض قد أخذ منه فى العام الماضى مبلغ عشرين ألف جنيه ساهم بها البنك فى تأسيس مطبعة مصر وفى تأسيس فاوريقة ورق وفى تأسيس شركة لتجارة وحليج الأقطان .

ولا شك انه اذا استمر البنك على هذا النجاح (وليس ما يوجب

الشك مطلقا فى استمرار نجاحه) . واذا استمر المساهمون على الاكتفاء بحصة من الأرباح مثل حصة السنة الماضية أو أزيد منها قليلا (وليس ما يوجب الشك فى حكمة تصرف المساهمين) فان النتيجة الطبيعية هو أن يفيض بالتدريج مبلغ كبير من المال غير مأخوذ من رأس مال البنك الذى لا يمس بأى حال من الأحوال . ولا من احتياطيه . بل مأخوذ من أرباح المساهمين لايداعه فى المشروعات الوطنية النافعة : فاذا تحقق ربحها — كما هو المأمول — عاد الربح الى المساهمين من جديد . فيكونون قد استغلوا بشىء من أرباحهم رأس مال جديد يقوى من شوكة البنك وعظمته . واذا لا قدر الله لم يتحقق الربح المنشود خلافا لكل تقدير فان الخسارة فى هذه المشاريع لا تخرج عن حدود مساهمة البنك فيها . وفى هذه الحالة تعتبر الخسارة كزكاة عن أموال المساهمين وجهت فى طريق المشروعات الاقتصادية . والتجربة الاقتصادية اذا عملت ولم تنجح فى ربحها لا قدر الله فانها تجربة لها قيمتها تعقبها تجربة أخرى رابحة يقوم بها البنك أو يقوم بها سواه .

ولا ريب أن تشجيع صناعات الغزل والنسيج يدخل فى الأغراض التى يرمى اليها تعاون البنك على أساس الاعتبارات المتقدمة أعنى عن طريق التسليف بضمانات أو عن طريق المساهمة من فائض الأرباح فى الشركات .

ان (بنك مصر) الذى نحتفل اليوم بافتتاح فرع له فى المحلة الكبرى هو اذن بنك عموم الطبقات من المحليين ففيه يودع صاحب المال أمواله يسحبها وقت أن يشاء وينتفع بفائدتها دون أن يعرض لخطر سرقتها . وفيه تودع البضائع والمنتوجات ويسحب عليها المودعون ما تستحق من المبالغ سلفا الى أن يحين وقت بيعها أو تصريفها . وفيه

تقطع الحوالات وتجرى عموم المعاملات التجارية . وفيه يجد المحليون قوة تعاون مدينتهم على ما يهم من المشاريع الخاصة أو العامة .

وانى فى الختام وباسم الله العلى العظيم أعلن افتتاح فرع بنك مصر فى المحلة الكبرى وأرجو أن يكون عهده فى هذه المدينة عهد يسر ورخاء وأدعو حضراتكم أن تدخلوه وتعاملوه بسلام آمنين .

خطبة طلعت حرب بك

فى دمشق

كان تجار دمشق قد أقاموا فى ٧ يوليه سنة ١٩٢٥ حفلة لتكريمه فى دار المجمع العلمى العربى فخطب بهذه المناسبة الخطبة الآتية : —

سادتى الأفاضل :

السلام عليكم ورحمة الله — سلام شاكر أفضالكم سعيد بالفرصة التى أتاحت لى الاجتماع بكم فى هذا المكان . سلام مصرى زار بلادكم لأول مرة فى حياته . فرأى من رجالها وكرم أخلاقهم ما أنسوه أنه فى بلاد غير بلاده ثم شكراً للجميع على هذه الحفاوة التى زادت من سرورى بوجودى بين ظهرانيكم بمدينة دمشق .

عظمة دمشق

لدمشق منزلة خاصة فى نفسى شعرت بها حين وطئت قدماى أرضها فأحسست كأنى أطأ أرضا فى منزلة الأراضى المقدسة . فان للمدن القديمة التى عاشت الأجيال الطويلة فى ظلمات التاريخ ثم اندثرت روحا يشعر بها من جاس أطلالها وناجى آثارها ، الناطقة عن مدنية قديمة بائدة . واذا كان هذا شعور من يجوس أطلال المدن المندثرة فما بالكم باحساس من يجول فى المدن القديمة القائمة ؟ أليس فى تغلبها على تصاريف الزمان ومقاومتها عبث الانسان ما يدعو الى الاعجاب بها أيما أعجاب ؟ بل أليس لها روح قد تختلف عن روح المدن البائدة ولكنها روح يحس بها الزائر الغريب اذا حل بأرضها ؟ كأن أرواح سكانها الأقدمين والأقربين يهمسون

فى أذن الانسان لا يغرنك ما تراه من أخيك الانسان فكم دالت دول فى هذا المكان ، وتقلبت عليها حوادث الزمان فأصبحت فى خبر كان ، وبقى هو حيث كان وحيث يكون . وان فى هذا لعبرة لقوم يعتبرون .

ولمدينة دمشق روح يشعر بها القادم اليها لأول مرة فى حياته . فهى مدينة ربما يكون قد بنى فوق أرضها أول حائط بناه الانسان بعد الطوفان . وربما يكون بناها (دماشق) بن قانى أحد أحفاد سام بن نوح أو بناها سواه قبل ميلاد ابراهيم الخليل . فهى مدينة يناطح تاريخها أقدم المدن فى الشرق . واذا قلنا الشرق فقد عنينا أقدم قارة مأهولة بالسكان سطع من أرجائها نور المدنيات القديمة على العالم الحديث .

ولدمشق منزلة أخرى فى اعتبار العالم وهى أنها مركز من مراكز الحياة الاسلامية الكبرى سطع عليها الاسلام فى مهده فكانت درة فى تاج مجده وانتقلت اليها الخلافة من الأراضى المقدسة فبقى لها هذا الشرف ما بقيت فى الأمويين . وشيد أحدهم الوليد بن عبد الملك الجامع الأموى فى أواخر القرن الأول للهجرة فكان ولا يزال من أعظم الجوامع وأفخمها على الاطلاق . وعاش فى ظلالها الصحابة والعلماء والشعراء حتى ان بغداد فى عصرها الذهبى ، والقاهرة فى مجدها الفاطمى ، لم يطفئا نور هذه المدينة التى لبثت طول تاريخها كعبة القصاد ومثوى الفضل والأدب : فهى ثالثة ثلاثة مع بغداد والقاهرة فى تمثيل أعظم ارث للاسلام ومجده الخالد فى العالم المتمدين .

وما وصفت دمشق بالمدينة الفيحاء وصف مجاز فان الحقيقة الراهنة هو أن بساتينها التى تجرى من تحتها الأنهار وأزهارها التى يحمل أثير الهواء عبق عطرها . وفاكهتها التى تسر الناظرين بجمال تدليها وتدهش

الألباب بكثرة أنواعها . ومبانيها التى تنم عن ذوق عربى صميم، كل هذه الحقائق الملموسة يقل دونها وصف الفيحاء : فهى فيحاء ، زاهرة ، عامرة تسر الناظر ، وتشرح الخاطر ، فهنيئا لكم بها وطاب لكم فيها المقام . فأنتم جديرون بها وهى جديرة بكم . وأنتم منها وهى منكم . اذ من المحقق أن بين الانسان والمكان الذى يعيش فيه صلة تشابه لا ريب فيها .

المعاهد العلمية

وكما ان الطبيعة تعمل فى مدينتكم على انتاج أفضل الأثمار وأزهى الأزهار فان مواهبكم العقلية — المماثلة فى خصبها لخصب أرضكم — تعمل على الابتكار فى ميدان الفنون والعرفان ولولا ظروف قديمة تعمدت أن لا تنتعش اللغة العربية انتعاشها الواجب فى بلادكم لكانت أزاهيرها أينع مما نراه الآن ، ومع هذا فكم كان لمدينتكم من فضل فى صيانة لغة القرآن والحرص عليها من تلاعب الحدثان . وها أنتم أولاء قد زدتم فضلا على سابق أفضالكم فأسستم مجمعا لغويا عربيا يرد اللغة الى أصولها ويسعى لتجديد حياتها فيبحث عن تسمية الأشياء بأسمائها أو يشتق للمستحدثات ما تسمح قواعد اللغة باشتقاق كلماتها أو تعريب ألفاظها ويعمل بجوار هذه الغاية على كشف الغامض من أسرار تاريخها وتاريخ شعوبها ثم ها أنتم أولاء أشفعتم الفكرة بالعمل فأنشأتم حديثا فى مدينتكم كلية للطب وكلية للحقوق وجعلتم عمدة التعليم فيها باللغة العربية . وعندى أن سلوك هذا السبيل بتكوين جامعة عربية تامة الحلقات فى العلوم الحديثة هو أجل عمل يمكن أن يؤسس فى مدينتكم التى هى بمثابة القلب للبلاد السورية والتى هى أحسن موقع جغرافى فى وسط البلاد العربية فى القارة الأسيوية .

واسمحوا لى أن أقص عليكم بهذه المناسبة أن قد جرت عادة

الشعوب بتسجيل فتوحات فى صور تماثيل تقيمها تمجيـدا لقـوادها وكبار رجالاتها أو احياء لذكرى موقعة عسكرية حاسمة . الا أن هناك أمة من أمم الغرب لوحظ أنها تهتم باقامة آثار لما يصيبها من هزيمة أكثر من اهتمامها باقامة أثر لما تتوفق اليه من انتصار وأنها تقيم الأثر فى موقع هزيمتها بالذات لا لذكرى الهزيمـة فان ذكراها مؤلمة للنفـوس بل للارشاد عن طريق اتقائها مرة أخرى .

هـذه الأمة هى أمة بروسـيا قبل أن يتألف منها وجارتها الاتحاد الألمانى فى سنة ١٨٧١ فقد لاحظ المؤرخ الفرنسى أرنست لافيس أن بروسيا أسست الجامعات حيث حلت بها الهزائم فهى أسست (جامعة بينا) مثـلا سنة ١٨٠٤ عقب هزيمة جيوشـها فى هذه البلدة واحتلال نابليون الأول معظم بلاد ألمانيـا وأسست معظم جامعاتهـا أثر هزائم عسكرية أو مصائب قومية فادحة من هذا القبيل فالجامعات لديها قامت مقابل تماثيل النصر وأقواسه لدى الفاتحين . وربما كانت الجامعات أصـدق أثرا من تماثيل المجد والفخار فى تحويل الشـعوب من حال الى حال .

كذلك نحن فى مصر نحاول أن نعمـل مثل ماتعملون وقد لاقينا فى هذا السبيل عقبات لامحل لشرحها فى هذا المقـام وان كان البعض من حضراتكم لايجهلها غير أننا انتهينا بتذليل بعضها ولا نزال نعمل على تذليل باقيها .

العربية والعلوم

قالوا — من حيث يجهلون أو يتجاهلون منزلة لغتنا — أن اللغة العربية لاتصلح للتعليم فى مدارسنا . لأنها تقصر عن استيعاب العلوم العصرية . فصبرنا على مضض نرى التعليم يجرى بلغة غير لغة البـلاد

حتى عاد الينا بعض الأمر من شـؤوننا . فجعلنا التعليم بالعربية أساسا فى الدراسة الابتدائية والمتوسطة والعالية . ولو أن العلوم كلها لاتدرس الآن فى المدارس العالية باللغة العربية لصعوبات وقتية لاتلبث أن تزول .

وفى أثناء هذا النضال كانت اللغـة العربية قد تمشت فى مجارى التشريع المصرى المأخوذ عن التشريع الفرنسى . وانقادت بسـهولة فى لغة المحاكم وأوراق دعاويها ومختلف اجراءاتها وفصاحة خطب رجالها فى الاتهام والدفاع . أصبحت اللغة العربية عصرية مرنة قابلة لخوض المعلومات العصرية بسهولة تامة سـواء أكانت هـذه المعلومات أدبية أم سياسية وسواء أكان التعبير بها بواسطة الصحف السيارة والمجلات المختارة أم بواسطة النشرات والمؤلفات .

ثم نهضت البلاد لتأسيس (بنك مصر) الذى هو أول بنك قومى مصرى تأسس بأموال مصرية بحتة . وبادارة مصرية محضة . وقررنا أن تكون المراسلات فيه وبينه وبين عملائه باللغة العربية . وان تكون حساباته باللغة العربية . فهزأ بنا الهازئون وقالوا « ان المحاسـبة من واردات الغرب . وانها فن من فنونه غير قابل للانتقال الى الشرق بغير لغة من لغات الغرب » ولكنا أهملنا استهزاءهم وأجرينا مراسـلاتنا وكتبنا تقاريرنا باللغة العربية . وانى أؤكد لحضراتكم — ولى صـلة متينة ببنك مصر وبادارته منذ اليوم الأول من انشائه — اننا ما وجدنا أية صعوبة فى تعريب معنى من معانى هذا الفن أو فى تعريب اصطلاح من اصطلاحاته . وكان مما ساعدنا على سهولة التطبيق فى العمل أن كانت قد أنشئت قبيل الحرب مدرستان للتجارة تكونت فيهما طائفة من الشبان تلقوا العلم فيهما باللغة العربية فسهل قيادهم فى حياة البنك العملية .

هيئة علمية عامة :

ويخيل الىّ أنه لو وفقت أمة شرقية أخرى الى انشاء بنك قومى صميم فى بلادها مثل (بنك مصر) وجعلت اللغة العربية مثله أساسا فى معاملاته . لوجد بيننا نحن المصريين وبين رجال هـذه الأمة شيء من الاختلاف فى تعريب المصطلحات الحديثة . وهذا هو ما نشاهده فى بقية الفنون التى تكد فيها عقول الناطقين بالضاد فى مختلف البلاد . حتى انى قرأت صدفة فى أحد أعداد مجلة المعهد الطبى العربى بدمشق مثـال خلاف علمى لغوى من هذا القبيل بين أستاذ علم التشريح بمدرسة الطب بالقاهرة . وأستاذ علم التشريح بكلية دمشق . وكان موضوع الخلاف واقعا على اختيار الاصـطلاحات الطبية باللغة العربية مع أن كثيرا مما وقع عليه الخلاف، قد يكون ميسور التحقيق فى كتب حـكماء العرب وأطبائهم .

وسيبقى مثل هذا الخلاف قائما ، أيها السادة ، بين أبناء اللغة العربية ما داموا محرومين من هيئة علمية عامة تمثل فيها الأوسـاط العلمية ، والجامعات العربية ، ويشترك فيها علماء اللغة الممتازون من أى جهـة كانوا . بهذه الواسطة ، وبهذه الواسطة وحدها ، بانشاء مجمع علمى عام يضم أكفاء الرجال لتنشيط اللغة العربية وتوحيد مصطلحاتها العلمية . بهذا المجمع وحده ينتفى كل خلاف ويسهل التقارب فى التفاهم والاستفادة من كد الافهام فى مختلف البلدان .

نعم ان المجمع العلمى العربى فى دمشق قد خطا خطوة خليقة بالثناء فى هذا الباب . غير ان هذه الخطوة يجب أن تعقبها خطوة أخرى — نرجو أن تتأتى فى هذه الدفعة من جانب مصر — وهى تأسيس معهد علمى عام للغة العربية ينضم اليه كل ذى فضل فى أصول اللغة ومندوبين

اخصائيين فى مختلف الفنون والعلوم قادرين على الباسها فى ثوب من العربية قشيب .

والواقع أيها السادة هو ان بين البلاد المتكلمة باللغة العربية — مهما ابتعدت مواضعها الجغرافية بعضها عن بعض — ثقافة واحدة مشتركة المظاهر فى كثيرمن مميزاتها وصفاتها . وواجب هذه الأمم ، واجب أفرادها وجماعاتها ، هو أن يعملوا دائما على تقريب دواعى هذه الثقافة وجعل اللغة الفصحى واسطة نقلها من قطر الى آخر وأن يعملوا دائما على توحيد اتجاهاتها بمجمع علمى عام مشترك بين الشعوب العربية كما قدمنا . مجمع يختار المصطلحات ويسجلها للأخذ بها فى دور التعليم وصحف التأليف بل وعليهم أن يعملوا على توحيد أساليب التعليم فى بلادهم المختلفة وفى أصوله العامة التى لا تنافى جعله مطابقا لحاجات كل شعب من الشعوب فى كل وقت من الزمان .

أيها السادة : ان هذه الروابط التى تربطنا بكم لهى روابط سامية فى ذاتها بريئة فى مقاصدها بحيث لا يعوقنا عائق عن النداء بها جهرا والعمل لها صراحة فى ضوء النهار وفى كل بلد من البلدان الناطقة بالضاد . والفضل كل الفضل للسابق فى العمل . ولقد قام أهل الفضل من هذه المدينة بنصيبهم منه دعانى أن أقصر حديثى فيه .

ولعلنا نحن المصريين نستمر على أداء واجبنا فى خدمة الثقافة العربية المشتركة ولعل جهود البلاد الأخرى تنظم لتنضم الى جهودنا المتجاورة فيتكون منها مجموع معلومات ومبادىء عرفان يتغذى بها عقل الشرق فتعيد اليه ضياءه وتجعل له نصيبا وافرا فى تقدم المعلومات البشرية والأخذ بها الى الأمام فى صالح الانسانية والأخاء والتضامن الاجتماعى العام .

حضرات السادة التجار وأصحاب دور الصناعة :

كأنى بكم تطلبون الىَّ الافاضة فى الكلام عن بنــك مصر . فان ما سمعتموه عن هذا المعهد دعا الكثيرين ممن قابلتهم فى هذه البـلاد يسألوننى عن (بنك مصر) لا سؤال من يجهل ماهيته ومركزه . ولا سؤال من يسأل ليشبع شهوة من شهوات حب الاستطلاع . بل سؤال الخبير بهذا البنك . الداعى له بالنجاح . الشاعر شعورا حقيقيا بأن نجاح هذا المظهر العصرى من حياة المصريين الاقتصادية والمالية الحرة يؤدى حتما الى نجاح أمثاله فى بلاد الشرق .

والواقع أيها السادة ان تأسيس (بنك مصر) كان تجربة اجتماعية خطيرة الشأن . وانى أشاطركم الشعور الحق بأن نجاح هذه التجربة فى مصر يشجع الى اتباع أثرها فى البلاد الشرقية الأخرى . كما ان فشل هذه التجربة — والله سبحانه وتعالى لم يقدر لها الفشل — كان من المحتمل أن يعوق الهمم فى الأقطار الأخرى عن تأسيس مصارف مالية قومية مستقلة بأموال أبناء البلاد أنفسهم وبادارتهم بالذات خشية أن تصاب بما تكون مصر قد أصيبت به من قبل .

غير ان عناية الله سبحانه وتعالى . واتفاق المصريين على القيام بهذه التجربة الخطيرة لذاتها مجردة عن المنازعات الشخصية . والاعتبارات الحزبية . وجعلها فى مصاف الأعمال القومية المقصودة لذاتها . وثقة المصريين بعضهم ببعض فى هذا الباب . ومثابرتهم على تعضيد هذا العمل العظيم . وادارتهم اياه بارادة مصرية مستقلة حازمة لا دخل لأية ارادة أجنبية أو تأثير أجنبى فيها . كل هذه الاعتبارات قد كللت العمل الذى قامت به مصر بأكليل النجاح حتى أصبح (بنك مصر) فى مقدمة المصارف

المالية حائزا ثقة المصريين أجمعين . كما أصبح أثرا أهليا ثابتا تخطى دور التجربة وأخذ يتهيأ للنمو فى جو صالح لنموه باستمرار واطمئنان .

أيها السادة :

ان (بنك مصر) ما كان ليصادفه هذا النجاح اذا لم يتفق المصريون على انجاحه واذا لم تقو ارادة القائمين به على مقاومة الصعاب لابلاغه هذه الدرجة من النجاح . بل يصح القول بأن الارادة ، الارادة القوية ، ارادة فعل الخير القومى المقرون بالاخلاص المجرد عن الغايات الذاتية هى أس نجاح العمل فى أى قطر كان .

ان تجربة (بنك مصر) أصبحت أهلا أن تحتذى فى البلاد الأخرى . وأهلا أن تحتذى فى فلسطين كما تحتذى فى لبنان أو فى الشام نفسها .

اذكروا أن (بنك مصر) بدأ مثل كثير من البنوك الكبرى فى الغرب برأس مال صغير . أذكروا أنه بدأ برأس مال لا يتجاوز ثمانين ألف جنيه واذكروا انه انتهى بعد خمسة أعوام الى نصف مليون جنيه ولو تركنا باب الاكتتاب مفتوحا لأقبل المصريون على تغطية أسهمه . وسيفتح هذا الباب حتما فى يوم من الأيام وستتدفق منه الأموال المصرية حتى يتضاعف رأس المال . وستنمو بالتالى أعمال البنك تبعا لسنة التدرج والارتقاء بمرور الشهور والأعوام . وهكذا يصح أن يبدأ العاملون عملهم صغيرا ويرعوا بيقظتهم وقوة ارادتهم العمل فينمو من تلقاء ذاته حتى يصبح الصغير كبيرا والكبير عظيما .

أنظروا الى أرباح بنك مصر تروها تدرجت من ثلاثة آلاف جنيه فى سنة ١٩٢٠ الى ٩٢ ألف جنيه فى سنة ١٩٢٤ . والى عدد حساباته الجارية تروها بدأت باربعمائة واثنين وتسعين حسابا فى سنة ١٩٢٠ فبلغت ١٢٧٩٥ حسابا فى سنة ١٩٢٤ . والى الودائع والأمانات فيه وهى بارومتر

الثقة العامة به تروها بدأت بمائتى ألف جنيه فى سنة ١٩٢٠ فأصبحت حوالى ثلاثة ملايين من الجنيهات المصرية فى سنة ١٩٢٤ ، بل انظروا الى توزيع أرباحه تروه وزع ربحا قدره ٥٪ فى السنة الأولى وتدرج الى أن بلغ ما وزعه فى سنة ١٩٢٤ — ٨٪ وهذا كله بعد أن حجز مبلغا كليا لاستهلاك أملاك البنك من أثاث وعقار وبعـد تخصيص مبلغ كبير للاحتياطيات التى بلغت فى نهاية سنة ١٩٢٤ ، ١١٦٠٠٠ جنيه . وقد ابتدع البنك بدعة حسنة لتأسيس أو تنمية الشركات التجارية والصناعية المصرية بدون أن تمس رأس ماله أو احتياطيه القانونى وغير العادى — اقتطع من أرباحه الصافية بعد ذلك جانبا ليس بالقليل بلغ لغاية ١٩٢٤ خمسين ألف جنيه مصرى لهذا الغرض . وهذا المبلغ صادق المساهمون على اقتطاعه بطيب نفس وبكل ارتياح كزكاة لأموالهم حتى يبارك الله لهم فيها فاشترك البنك بهذا المبلغ فى تأسيس شركة مطبعة مصر والشركة المساهمة المصرية لصناعة الورق والشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان وشركة مصر للنقل والملاحة .

حاجة الشرق الى البنوك

هذا هو عمل بنك مصر للآن . وسينمو ان شاء الله تعالى فما أحوج بلاد الشرق الى بنوك مثله وانى لأرجو أن تفكروا مليا فى حالة بلادكم الاقتصادية وتدرسوا عميقا جميع العوامل ذات الأثر الفعـال فيها وتشخصوا أمراض أمتكم الاجتماعية والاقتصادية ليتسنى لكم الاهتداء للدواء الناجع والعلاج الشافى باذن الله .

ولا يكون ذلك الا بجمع صفوفكم وتوحيد كلمتكم بدون نظر الى فوارق دينية أو حزبية فسوريا أم الجميع ولتكن لكم سياسة مالية قومية لها برنامج كافل لتحقيق أمانيكم بالتدريج .

أعيدوا الى مدينتكم الفيحاء مدنيتها السابقة ومجدها القديم .

احفظوا ثروة البلاد فيها واعملوا على بقاء الذهب فى بلادكم وأوقفوا تيار نزوحه من البلاد ففى ذلك الخطأ كله .

أكثروا من الانتـــاج يقـــل الوارد الأجنبى بقدر الزيادة ويحفظ الذهب بقدرها . وزنوا بين صادراتكم ووارداتكم وليكن كل همكم أن تربو الأولى على الثانية .

وما هذه الحياة الا حرب اقتصادية . وخيرات بلادكم كثيرة متنوعة والله تعالى قد أمركم أن تعدوا لكل حرب عدتها وأن تحاربوا بذات السلاح الذى تحاربون به ومن أقطع أسلحة المزاحمين النظام وجمـــع الكلمة والاقدام وقوة الارادة وتجديد آلات الانتاج وتأسيس المصارف والشركات المتينة التى تقوم بما لا يستطيع أن يقوم به الفرد فالبقاء فى هذا العالم للأصلح والأقوى وما قوتكم الا بالعلم والمال فاكثروا منهما وكونوا فى معترك هذه الحياة عمليين فحسب العالم نظريات وخيالات ولله در شاعرنا شوقى حيث قال من قصيدة نظمها عند تأسيس بنك مصر :

والمـــال مذ كان تمثـــال يطاف به
والنـــاس قد خلقوا عبـــاد تمثـــال
اذا جفا الدور فانع النازلين بهـــا
أو المـــالك فاندبهـــا كاطـــــلال
يا طالبا لمعـــــالى الملك مجتهــــدا
خذها من العلم أو خذها من المـــال
بالعلم والمـــال يبنى النـــاس ملكهم
لم يبن ملك على جهـــــل واقلال

هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا

رأيا لرأي ومثقالا لمثقال

هذا هو الحجر الدرى بينكمو

فابنوا بناء قريش بيتها العالى

دار اذا نزلت فيها ودائعكم

أودعتموا الحب أرضا ذات أغلال

وفيكم ولله الحمد المال والرجال فهلموا للعمل وليكن الاتحاد شعاركم والاخلاص رائدكم واجعلوا نصب أعينكم تحقيق هذه الآية الحكيمة المسطورة باللوحة الماثلة أمامكم (ولا تنازعوا فتفشلوا) والله تعالى المسؤول أن يحف بلادكم برعايته ويوفقكم لتحقيق آمال أهلها فيد الله مع الجماعة ، ومن سار على الدرب وصل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خطبة طلعت حرب بك

فى باريس

كانت الجمعية المصرية فى باريس قد أقامت
حفلة لتكريمه بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٢٥
فخطب فى الحاضرين الخطبة التالية :

. . أبنائى الطلبة ، سادتى الأفاضل :

السلام عليكم ورحمة الله سلام مسرور بلقائكم مصطافين ، وطلبة علم ، ومقيمين فى عاصمة النور والسرور ، فى عاصمة العواصم ، فى باريس .

ان باريس كانت دائما ولا تزال كعبة القصاد من جميع البلاد . للمصيفين يأتون اليها من الشرق البعيد والقريب . والمشتين يأتون اليها من أمريكا والبلاد الشمالية . فهى وسط أقليمى معتدل المناخ للزائرين من جميع الشعوب . وهى نقطة مركزية هامة متصلة بأهم الطرق الدولية التى تربط العواصم الأوربية بعضها ببعض . وهى كانت وستكون دائما أجمل مدينة غربية تجذب اليها السائحين بجمال آثارها وحسن هندامها وفسيح شوارعها وعديد ميادينها وتنسيق غاباتها ونهر سينها ينساب فى وداعة وهدوء فيمس ماؤه جدران الكنائس الكتدرائية ، والقصور التاريخية ، ومعاهد العلوم والفنون ، ويمر تحت الجسور ، ويتنقل من حى رشيق الى أرشق حتى ينتهى الى الضواحى الغناء وكأنه قد ثمل بمسه جدران الآثار وحيطان الديار فيتغنى الى مصبه بذكر الماضى الجليل والحاضر الجميل .

باريس اللهو والسرور

وباريس مركز اللهو والسرور . فيها المسارح يرجع عهدها الى ما قبل « موليير » وفيها الروايات قد انتحى فيها المؤلفون نواحي مختلفة من الوصف والخيال والحقيقة والواقع وتصوير الشعور والنفسيات الحائرة والطبائع البشرية على أصلها أو على ما يجب أن تكون حتى أصبح المسرح الفرنسى الناطق أغنى المسارح قدرة على تصوير الانسانية فى أسمى عواطفها الراقية وفى تحليل عيوبها على غير ايذاء للنفوس الرقيقة فان أهل الأدب من رجال هذه الأمة النابغة لا يكشفون الجروح الدامية أمام الأنظار البريئة الطاهرة وهم ان كشفوها فانما يكشفونها فى رفق ولين وراء ستار شفاف خفيف ويمهدون عند كشفها بايداع الشفقة فى قلب النظارة حتى لا تقسو قلوبهم على من هوت بهم الظروف الى درك سفلى .

وفى باريس بجوار المسارح الناطقة ستائر بيضاء صامتة لعرض الصور المتحركة . وباريس مهد هذا الفن نشأت فيها الصور المتحركة فأخذت بمجامع القلوب شارات الممثلين وبراعة المرتبين (Régisseurs) وغرابة الحوادث التى كشفت أسرار العلوم والفنون لسواد الجماهير وفتحت لنا جوف الأرض ترينا ما فى ماضيها من مناجم وأعمال تعدين وأضاءت لنا بالمصباح غياهب البحور وسرها المستور . وأعربت بالاشارة عن نوع من الفكاهة فى الطبيعة البشرية كان يأتى عفوا فى المسارح التمثيلية فأصبح مألوفا فوق الستائر البيضاء ، وحولت صنفا عظيما من طائفة الفنانين من المسارح الناطقة الى الوقوف أمام الماكينات الخاطفة تلتقط الحركات وتسجلها ثم تطبعها وتوزعها على العالم فلا يقف أثرها عند مسرح واحد أو فوق ستار واحد بل يتعدد الى الآلاف من المسارح والستائر فى أنحاء المعمور . كما تعددت من قبل أصوات المغنيين فى اسطوانات الفوتوغراف .

وبفضل الستارة البيضاء انتعشت صناعات جديدة فى الوجود حتى أعدت لهذه الصناعات فى أمريكا مدن قائمة بذاتها لأخذ الحوادث وتصوير الحركات الروائية فى محيط مناسب لها متناسق وجمالها .

ولباريس فضل فى اذاعة صناعات السينما وتحسينها فى العالم فلولا ممثلوها وممثلاتها ولولا مهارة العاملين على ترقيتها لما تقدم هذا الفن ولما اتسع اتساعه الهائل فى أنحاء العالم حتى لقد صار لكل أمة من الأمم شركات سينما أو اتحاد شركات تعمل على استغلال هذا المظهر الجديد من مظاهر الحياة العصرية الفنية والصناعية وحتى صار لأصغر الدول شأنا وأقلها ثروة وعددا جملة شركات من هذا القبيل . ونؤمل أن تصيب مصر حظا من ذلك فى القريب العاجل ان شاء الله .

وفى باريس ملاه غير المسارح : فيها القهوات والنوادى تسر الناظر وتشرح الخاطر ، وفيها أمكنة المداعبة والخلاعة قد يغشاها بعض المصريين كما يغشاها كثير من الأجانب والفرنسيين . ولما كنت غير واعظ ولا أحب أن أكون واعظا لأنى أعلم أن وعظى سيذهب صرخة فى واد فان كل ما أرجوه أن يدخلها من يدخلها من المواطنين بحذر وأدعو الله لهم أن يخرجهم منها سالمين . وفى باريس كاباريه (Cabarets) أو (غرز) كما نقول فى بلادنا يغنى فيها المغنون غناء خاصا بالباريسيين ينطوى على لهجتهم المجازية التى يدرك الشعب الباريسى وحده ظريف نكاتها . والشعب الباريسى ذو نكتة حلوة عذبة عذوبة أخلاقه وطباعه سهلة التحوير والتدوير سهولة لغته فى قابلية النحت والمجاز .

هذه هى باريس اللهو والسرور .

أما باريس الجد فهى باريس العلم وباريس العمل .

باريس العمل

هى باريس السوربون (Sorbonne) والسوربون من أقدم الجامعات فى الغرب منزلته منه منزلة الأزهر من الشرق من حيث القدم فى كليهما . والسوربون كما تعلمون تطلق على كلية الآداب وكلية العلوم . وقد تطلق أيضا على معهدين ملاصقين لهما روحا وجسدا هما كوليج دى فرنس (Collège de France) ومدرسة الوثائق القديمة (Ecole des Chartes) وهذه المعاهد العلمية تعتبر بمثابة القلب من جامعة باريس . فمن آدابها وتاريخها وفلسفتها يمتد النور الى كلية الحقوق . ومن علومها الوضعية الطبيعية والكيميائية وتاريخها الطبيعى يمتد ضياء آخر الى كلية الطب . ومنها جميعا يشرق نور الجامعة الكبرى الى بقية الجامعات فى الأقاليم وينعكس الى قباب الأكاديميات الشهيرة فى سرابها فوق نهر السين .

وباريس من حيث كونها وسطا علميا من أمتن الأوساط العلمية وأقدرها على تكوين الملكات العلمية وعلى تعود الافصاح عن الفكر بترتيب ووضوح هما خاصة من خواص الجنس اللاتينى ومن خواص اللغة الفرنسية بالذات .

ولقد كان لهذه الجامعة فضل عظيم فى تكوين فئات من المصريين منذ بعثات محمد على العلمية التى أخرجت على مبارك والفلكى محمود واسماعيل وبهجت ومحمد على الحكيم وغيرهم من الأدباء والمهندسين والأطباء والمشترعين . وبعثات الجامعة المصرية والحكومة أخيرا .

والطلبة الحاليون فى هذه المدينة ، والطلبة المصريون الذين يحتمل أن يقصدوا اليها فى المستقبل ، جديرون بأن يقتفوا آثار سلفهم من متخرجى جامعة باريس . جدير بهم أن يستقوا العلم من مناهله الحقة وأن ينتفعوا بالفرصة السعيدة التى أتاحت لهم تلقى العلوم على جماعة

من أكبر أساتذة العالم وأن يعودوا الى بلادهم علماء حقا قادرين على خدمتها والأخذ بأيديها فى طريق النجاح والفلاح .

نعم انه يكون من الشاق على الطالب الأجنبى فى هذه المدينة المائجة المملوءة بدواعى اللهو والمسرات أن يضغط على شبابه ويقاوم فى هـذا الوسط الجذاب أسباب الخلاعة المحيطة به . وانى لا أستطيع أن أقسو على الشباب فأتجاهل طبيعته أو أنكر حقه فى اللهو وانشراح النفس والحبور . ولكن هناك لهو ولهو كما يقول أهل هذه البلاد . هناك لهو مصحوب باحترام النفس والقدرة على ضبطها والحذر من ابتذال الكرامة والحرص من الوقوع فى أى سبب من أسباب المكاره الأدبية أو الخلقية أو الصحية . وهناك لهو آخر ينحدر به الانسان الى بخس النفس قدرها بالضعف عن كبح جماحها والى تضييع الكرامة والتخبط فى ظلمات كل مكروه . وبين هذا اللهو وذاك فرق شاسع . على أن للهو البرىء ساعة وللجد فى تحصيل العلوم ساعات والعاقل الفائز من عرف كيف يعتدل فى حياته فلا تفريط فى الجد ولا افراط فى اللهو .

نريد عقلية مصرية

أن تعدد الجهـات والأمم والدول الأجنبية التى يقصد اليها الطلبة المصريون مرغـوب فيه أكثر من توجيـه أبنائنا المصريين الى جهـة أمة أو دولة واحدة . ذلك بأن توحيد الجهـة التى يقصدون اليها من شأنه أن يجعل العقلية المصرية المتعلمة فى الخارج تتأثر بطابع الدولة التى تم التعليم فيها الا لمن استطاع أن يخرج بعقلية مستقلة وهو ما لا يكون الا عند جبابرة الذكاء . ولا يخفى ما يترتب على التأثر بطابع التهذيبات فى دولة واحدة من الأثر الذى قد يكون غير محمود فى حياتنا القومية بخلاف تنويع البلدان والدول التى يقصد اليها الطلبة المصريون فان من

شأنه أن يجعل عدة جماعات من المصريين المتعلمين تعليما عاليا موسومين بسمة التهذيبات المختلفة التى أثرت فى تكوينهم العقــلى فيحدث من احتكاكهم فى العمل بعد عودتهم الى مصر اتصال فكرى وعقلى يجعلهم يتقربون بعضهم الى بعض تقربا يساعد على ايجاد عقلية مصرية ممتازة بذاتها مستقلة فى مجموعها عن أثر الدولة التى استكمل فيها المصرى علومه العالية .

وهذه العقلية الممتزجة المتشابهة ، هذه العقلية المستمدة من تهذيبات الشعوب المختلفة ، هذه العقلية القائمة على الملكة العلمية المشتركة بين البلاد دون أن تكون متأثرة بالبلدة التى تم تكوينها فيها ، هذه العقلية التى يجب أن تكون مشتركة فى طرق العلم الثابتة مع أسمى الأمم الغربية دون أن تصبغ بمميزات هذه الأمم وخواصها ، هذه العقلية التى نريدها فى شبابنا المتعلمين ومتخرجى الجامعات سامية عالية تناطح العقليات فى سمو ادراكها . هذه العقلية ينبغى أن تتكون بجهود المتعلمين أنفسهم حتى تكون مصرية لا عقلية ألمانية ولا عقلية انجليزية ولا عقلية فرنسية ولا عقلية أجنبية أخرى. وهذه العقلية يجب أن تكون مصبوغة بخواص الذكاء المصرى ومرآة صادقة للحسن من الطبع المصرى فلا يفيد تعلم ولا تعليم مالم يكن منطبقا على طبيعة الانسان وطبيعة تكوينه العقلى والخلقى فى زمان ومكان محددين .

نريد اذاً عقلية مصرية متشــابهة فى سموها مع أسمى الأمم ثقافة ونريدها عقلية مصرية مستقلة ، عقلية هى وليدة ماضينا الذى لا مفر عن الخروج من تأثيره فينا . ووليدة حاضرنا نسعى الى أن نربطه بماضينا كما نسعى أن نقوده ونسيره الى مستقبل حسن . والمستقبل وان يكن بيد الله الا أنه الى درجة ما بيد القوم ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

خذوا اليابانيين مثلا ، تروا أنهم اقتبسوا من أمم الغرب أشهى ثمرات العلوم والفنون غير أن عقليتهم بقيت دائما عقلية يابانية وثقافتهم ثقافة يابانية مشتركة مع الأمم الغربية فى الأصول الثابتة من رأس مال البشرية العقلى العام . ولكنها عقلية مستقلة وثقافة مستقلة . واذا وجدت مثل هذه العقلية الممتازة فى أقلية ممتازة هى ذخر التقدم فى كل عصر وفى كل بلد فان ضوءها يمتد كضوء الفنار على سواد المجموع فتصبغ عقلية الأغلبية بصبغتها متخذة الجامعة وسيلتها . والجامعة سائقة المدارس الأخرى فى أثرها .

ولعل هذا الاعتبار الذى بسطناه لحضراتكم القاضى بضرورة تنويع البلاد التى يقصد اليها الطلبة المصريون — هذا التنويع الذى حدا أخيرا بلجنة البعثات العلمية المصرية الى توجيه الطلبة المصريين المبعوثين على نفقة الدولة المصرية الى دول متعددة من أنحاء العالم الأوروبى والعالم الأمريكى .

تلك باريس العلم . نسأل الله تعالى أن يوفقكم فيما هاجرتم اليه من تحصيل علم وأخلاق وأن يوفق رجال حكومتنا السنية وحضرتى مدير البعثة المصرية ووكيلها الفاضلين الى تحقيق هذه الأغراض .

باريس العلم

وما باريس العمل بأقل من باريس العلم جدا . وكم يخطىء الأجانب حين يتصورون باريس بلد اللهو والخلاعة فتنصرف أبصارهم عن مشاهدة مظاهر الجد من حياتهم العملية .

والواقع أن من يمعن النظر فى حياة الباريسيين يجدهم من أنشط الناس وأقدرهم على العمل بمثابرة ونظام . أنظروا اليهم تجدوهم عاملين غير عاطلين. وتجدوا العاملين منهم نشاطا الى أعمالهم مبكرين. وتجدوهم

فى مختلف نواحى الانتاج الصناعى والتجارى يعملون : وقد لا توجد أهالى بلدة فى القارة الأوروبية بعد مدينة لوندرة أغنى من أهالى مدينة باريس . لا لأن مدينتهم قد تركزت فيها الشركات المالية والزراعية والصناعية والتجارية فاستجمعت لديها ثمرات الانتاج فى الداخل وفى الخارج وفى المستعمرات بل لأن الانتاج الداخلى أيضا فى مدينة باريس نفسها يدل حقا على أن الباريسيين قوم جد ونشاط وذكاء فى الابتكار يجعلهم بحق فى مصاف المتمتعين بالرخاء العام الناشىء عن مجهودهم الذاتى .

وليس أدل على الحيوية والثراء فى هذه الأمة الفرنسية ومن بينها سكان باريس من تقلبات الفرنك عقب الحرب فانها وأن كانت سببا كافيا لاحداث كارثة فى البلاد لكن الأمة الفرنسية استطاعت أن تعيش رغم هذه التقلبات فى سعر عملتها قوية ماليا واقتصاديا . نعم أنها تشعر بضغط الأزمة بين حين وآخر ولكنها لا تلبث أن تلتوى على نفسها عاجلا وتطارد هجمات الأزمة مطاردة عنيفة توقفها بها عند حدودها وهى فى صراعها عند نزول سعر الفرنك لم تقع يوما من الأيام كارثة من كوارث العملة التى يهد لها كيان الحياة الاقتصادية أو يجمد قلبها وتختل أعصابها كما حدث فى بعض البلاد الأخرى .

بين مصر وفرنسا

وهذه القوة الحيوية الاقتصادية والمالية الكامنة هى التى جعلت فرنسا تحافظ على مركزها التجارى فى العالم بصفة باهرة .

وانى لا أحادثكم عن هذا المركز الآن فليس اجتماعنا محلا لبيانه انما يكفينى أن أذكر لحضراتكم أن الحركة التجارية بين مصر وفرنسا شاهد على هذا المركز الراقى الممتاز .

فواردات فرنسا الينا كانت فى سنة ١٩٢٣ عبارة عن ٣٨٢٦٠٠٠ جنيه فزادت الى ٤٦٨٩٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩٢٤ فهى بعد انجلترا وايطاليا فى الصف الثالث بمقدار ٩٪ من مجموع الواردات . وزادت صادراتنا اليها من ١١ الى ١٣٪ . وقد استوردت من الأقطان المصرية فى السنة الماضية ما قيمته ٨٢٤٩٠٠٠ جنيه . ففرنسا تعتبر من هذه الوجهة عميلا من أعظم عملاء مصر .

ومن أجل هذا فان (بنك مصر) — الذى لى به صلة معلومة — يهتم كثير الاهتمام بجميع المظاهر الاقتصادية ومنها حركة التجارة الخارجية ويسعى بما فى مقدوره الى تشجيع وسائط التجارة بين مصر والبلاد الأجنبية . وهو بالجملة لا يدخر جهدا من جهته فى توثيق العلاقات التجارية والاقتصادية بين مصر وفرنسا . سيما وان العلاقات الودية والأدبية التى تربط البلدين منذ أوائل القرن الماضى لا تزال ذات أثر عميق فى نفوس المصريين يجعل لفرنسا منزلة خاصة فى قلوبهم . خصوصا أن هذه العلاقات قد أتمها التمثيل السياسى والقنصلى فوقع الاختيار على جماعة من أفضل المصريين للقيام بأعباء التمثيل السياسى والقنصلى فى هذه العاصمة أحسن تمثيل وعلى رأسهم محمود فخرى باشا الذى تعرفونه جيدا وتعرفون ما يتحلى به من جميل الأخلاق وحميد الصفات .

بنك مصر

سادتى :

أرانى قد أطلت عليكم الحديث وأرانى مقصرا اذا أنا ختمت حديثى معكم دون أن أقول لكم كلمة عن بنك مصر الذى هو موضوع التكريم فى هذه الحفلة لا شخصى الضعيف . فما أنا الا واحد من جماعة من

المصريين اتفقت كلمتهم على خدمة بلادهم من طريق العمل والاقتصاد فصحت عزيمتهم وساروا على بركة الله متخذين شعارهم الاخلاص وأسسوا بنك مصر فأخذ الله بيدهم وأتاح لهم النجاح التام حتى أصبح فى مصر مصرف قومى ثابت البنيان قائم الدعائم مؤسس بأموال مصرية وبادارة مصرية وصار ركنا من أركان البلاد الاقتصادية بشهادة جميع المصريين على اختلاف نزعاتهم وميولهم الحزبية ومعتقداتهم الدينية لأنه بنك مصر — ومصر أم الجميع — بل وبشهادة كثيرين من الأجانب أنفسهم بمصر وفى الخارج .

فى طليعة هذه الجماعة زميلى وصديقى الدكتور فؤاد سلطان ومعالى أحمد مدحت يكن باشا رئيس مجلس ادارة بنك مصر والذى يسرنى أن أراه بين الحضور . كما يسرنى أن أرى بين الحاضرين بعضا ممن مدوا لنا يدهم من أول يوم شرعنا فى تأسيس البنك وكانوا أعضاء مجلس ادارته أمثال معالى يوسف قطاوى باشا وجناب المسيو يوسف شكوريل .

سادتى : وجد بنك مصر فى سنة ١٩٢٠ برأس مال أولى قدره ثمانون ألف جنيه وبعدد من الموظفين لا يزيد على ٣٣ فسار بتدبير وحزم حتى حاز ثقة مواطنيه فأصبح رأس ماله ٥٠٠ ألف جنيه وأصبحت احتياطياته فى نهاية سنة ١٩٢٤ — ١١٦ ألف جنيه وأصبح عدد موظفيه حوالى الأربعمائة معظمهم من متخرجى مدارس التجارة . وتدرجت الودائع والأمانات فيه من ٢٠٠ ألف جنيه فى أول سنة الى حوالى الثلاثة ملايين من الجنيهات فى نهاية سنة ١٩٢٤ وهى السنة الخامسة له .

وكان عدد حساباته الجارية فى سنة ١٩٢٠ حوالى الخمسمائة فأصبح حوالى الثلاثة عشر ألفا فى نهاية سنة ١٩٢٤ وتدرجت أرباحه من ٣٠٠٠ جنيه فى السنة الأولى الى ١٦٠٠٠ جنيه فى الثانية و ٣٨٠٠٠ جنيه

فى الثالثة و ٦٨٠٠٠ ألف جنيه فى الرابعة و ٩٢٠٠٠ ألف جنيه فى الخامسة ويسرنى أن أبشركم بأنه وردت لى أخيرا هنا ميزانية حسابات وأرباح البنك عن الستة الأشهر الأولى من سنة ١٩٢٥ فاذا بأرباح هذه المدة ٦٣٠٠٠ وكسور الألف جنيه بدل ٣٤٠٠٠ جنيه وكسور الألف فى المدة المقابلة لها من سنة ١٩٢٤ .

وقد قرر مجلس ادارة البنك فى هذا الأسبوع اصدار أسهم جديدة فى شتاء هذا العام قدرها ٢٥٠٠٠ سهم بسعر خمسة جنيهات ونصف بدل أربعة جنيهات قيمتها الاسمية . وهذا الاصدار بناء على تصريح الجمعية العمومية لمجلس الادارة بأن يزيد رأس المال لغاية مليونى جنيه على عدة دفعات فى الأوقات التى يراها مناسبة .

هذا النجاح المطرد صادفه بنك مصر بفضل مجهود جميع القائمين بادارته والقائمين بأعماله وبفضل الثقة التى أولاها اياه المصريون .

ويسرنى أن أرى بين الحضور واحدا ممن خدموه من أول تأسيسه ثم جاء ليتمم علومه فى فرنسا أعنى به حسن افندى ابراهيم موسى وهو يعلمكم أن ما مارسه فى بنك مصر من الأعمال سهل عليه كثيرا تفهم ما يتلقاه من العلوم .

وعلى ذلك فكل ما قيل من شكر ومديح هو فى الحقيقة موجه لكل من ساعد على انهاض بنك مصر وانجاحه من مؤسسين ومديرين وموظفين وعملاء ومساهمين وانى بالنيابة عنهم جميعا أشكر حضرات أعضاء الجمعية المصرية بباريس صاحبة الدعوة لهذا الاجتماع كما أشكر حضرات الخطباء وحضرات السادة الحاضرين .

احياء الصناعات القومية

ولقد سن بنك مصر سنة حسنة وافقت عليها جمعيات المساهمين

العمومية بكل ارتياح وسرور وهى تخصيص جانب من فائض صافى أرباح البنك لتنمية وتأسيس الشركات الصناعية والتجارية المصرية . فاشترك البنك فى تأسيس شركة مطبعة مصر التى أصبحت لها داراً خاصة بشارع الدواوين وفى تأسيس الشركة المساهمة لصناعة الورق التى لا يزال مشروعها تحت الدرس والفحص . والشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان التى بدأت فى العام الماضى بوابور حليج مغاغة وشيدت فى هذا العام وابورا ثانيا فى المحلة الكبرى . وقد وصلنى بالأمس تلغراف من مصر بأنه تم وجرب بنجاح وسيدور فى هذا الشهر . وشركة مصر للتمثيل والسينما التى نرجو أن تسد بعض النقص الذى أشرنا اليه فى أول حديثنا . وشركة مصر للنقل والملاحة التى صدر المرسوم بتأسيسها فى الشهر الماضى . وسيلحق بوابور المحلة فابريقة لصنع القطن الصحى . وقد أعدت معداتها ويؤمل أن تبدأ عملها قريبا . وربما ألحقنا بوابور مغاغة صناعة الزيت والصابون بعد اتمام دراسة مشروعها .

ويسرنى أن أقول أن الشركات التى يساهم فيها البنك بجزء من صافى أرباحه كما أسلفنا ويشجعها كل التشجيع احياء للصناعات القومية فى البلاد يقبل عليها المساهمون أيما اقبال . وقد غطى أخيرا المبلغ المعروض للاكتتاب فى الشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان وهو مائة وثلاثون ألف جنيه فى ظرف ثلاثة أشهر . وسيعلن قريبا عن تأسيس شركات صناعية أخرى سنجد اقبالا على سهومها من المصريين . وما هذا كله فى الواقع أيها السادة الا نتيجة الثقة الأساسية فى بنك مصر . وما الثقة الا نتيجة قيامه فى تأسيسه على فكرة حقة وادارته بيد لا تعرف الا الاخلاص فى انجاح العمل وفى جعله حجرا أساسيا لاستقلال البلاد الاقتصادى .

ومن الشركات التى تدرس مشروعها شركة مساهمة مصرية للغزل

والنسيج . وقد شرع فعلا بنك مصر بدرس هذا الموضوع منذ حين . وكان من أهم أغراضنا من سياحتنا فى هذا العام أن نتصل بالفنيين وأهل الذكر فى هذه الصناعة وغيرها من الصناعات التى قد يمكن ادخالها فى بلادنا . وأن نزور الفابريقات أيضا .

وايجاد صناعات القطن من غزل ونسيج وما اليها ليس مجرد حاجة لوجودها وان كان مجرد الحاجة اليها مشروعا حتى يوجد توازن فى الانتاج بين الصناعة والزراعة ولكنه ضرورة قصوى فى الأوقات التى تتعرض فيها طرق المواصلات لأى خطر من الأخطار . وقد شاهدنا زمن الحرب الصعوبات التى لاقيناها فى تصدير أقطاننا الى الخارج ولقينا ماهو أشد وطأة وهو أننا كنا لانعثر على مايلزمنا من المنسوجات والأقمشة القطنية بالسهولة والأسعار المناسبة . فوجود صناعات لغزل القطن ونسجه فى مصر يدفع عن البلاد فى مثل هذه الأزمات خطر انقطاع الوارد الينا من الخارج لأى سبب من الأسباب . ونعتقد أن هذه الغاية وحدها يصح أن توصف بأنها دفاع مشروع عن الذات يحتم علينا أن نعمل له نحن المصريين مهما كلفنا من جهد وصبر ومال .

سادتى :

أرض بلادنا خصبة وغنية ولدينا خامات كثيرة فلماذا لا نستعملها فى حاجاتنا ونصنعها فى بلادنا فتزيد ثروتها ويكون لنا مع ربح الزراعة أرباح الصناعة مما تخرجه أرضنا ؟

أمامنا أهل سويسرا وهم فى الصناعة أهل لأن نحذو حذوهم . بلادهم كبلادنا ليس فيها فحم للوقود وهم مثلنا عالة على الغير فيه . وليس فى بلادهم وقود سائل هو البترول والمازوت والبنزين ولدينا منها شيء غير قليل . وليس فيها معادن أخرى من حديد وصلب ونحاس فنحن وهم منها محرومون .

هؤلاء القوم الذين حرمتهم الطبيعة وسائل الانتاج الصناعى لم يقعد بهم هذا الحرمان عن العمل المتواصل الذى جعل الأمة السويسرية أمة صناعية بجوار كونها أمة زراعية . فهم قد استعاضوا عن الفحم الحجرى بالكهرباء من مساقط المياه فأداروا بها المعامل والمصانع وسيروا بها معظم السكك الحديدية . حتى تم تسييرها كلها بعد قليل من الزمان وعندنا والحمد لله الشلالات والخزانات يمكن أن تولد لنا الكهرباء ندير بها المعامل والمصانع بدل الفحم والمازوت ونسير بها بعض سككنا الحديدية . ثم هم لم يقعدهم نقص المعامل عن مزاولة الصلب والحديد فيحول الى المحركات الكهربائية والوابورات والعدد والآلات اللازمة لمختلف الصناعات . وهم ممتازون قديما فى أدق صناعة الساعات فالسويسريون — وهم قليلون لا يزيدون عن ستة ملايين ولكنهم ينتجون ويعرفون كيف ينتجون فى الزراعة والصناعة — جديرون بأن نقلدهم خصوصا وان مطامعنا متواضعة للغاية . فنحن لا نطمع مطلقا فى أن ندخل صناعة لبلادنا الا ماكان لدينا الخام الأساسى لها مستعينين بأهل الخبرة ممن سبقونا فى هذه الصناعات نستعيرهم من بلادهم ليرشدونا ويعلمونا ويعلموا أبناءنا فتصبح شركاتنا مدارس صناعية عملية كما كان بنك مصر مدرسة عملية للمحاسبة وعمل البنوك .

ويسرنى بهذه المناسبة أن أحيى من بين الحضور مواطنا لنا درس بنفسه صناعة الحرير بمدينة ليون فلما عاد الى وطنه أدخل فيه النسيج الميكانيكى بدل نسيج الحرير باليد وطبق علمه على العمل ألا وهو حضرة حامد بك اللوزى نجل سعادة عبد الفتاح بك اللوزى والعضو بمجلس ادارة بنك مصر وصاحب أول فابريقة لنسج الحرير بالآلات بدمياط . فكون بها عمالا مصريين تعلموا على عمال فرنسيين استحضرهم خصيصا لهذه الغاية ونجحت تجربته وأصبح لأقمشة اللوزى صيت كبير بمصر

وترون حاضرا مع حامد بك أخاه الأصغر سيد أفندى اللوزى وهو يتلقى بألمانيا علم الصباغة الملحق بصناعة المحل فأتمنى له مثل النجاح الذى صادفه أخوه . أولئك أشخاص جديرون بالاعجاب والاجلال والتشجيع وسيكافئهم الله بقدر احسانهم لأنفسهم ولبلادهم .

ولقد سرنى أن أرى بين الطلبة الذين يتلقون العلم بفرنسا كثيرين يدرسون علم التجارة والمالية والاقتصاد وازداد سرورى لما علمت أن من بين من أتموا هـذه الدراسة اثنين أرادا أن يقرنا العلم بالعمل (يشير الى حضرتى مصطفى أفندى وشافعى أفندى راضى) فالتحقا بخدمة بنكين فى باريس . هؤلاء أيضا يستحقون كل تشجيع لأنهما خبروا حال بلادهم فصحت عزيمتهم على خدمتها بسد جانب من هذه الحاجة .

وختاما أحيى حضراتكم وأشكركم على هذه الفرصة السعيدة التى جمعتنا ساعة لذيذة من الزمان فى هذا المكان . وأشكركم خاصة على صبركم الجميل لسماع حديثى الطويل وعذرى فيه أن الحديث من القلب الى القلب شجون وسلام عليكم حين تقيمون وحين تسافرون وحين تعودون الى وطننا ووطنكم سالمين آمنين .

ولتحيى مصر .

خطبة طلعت حرب بك

فى حفلة الغرف التجارية

كانت الغرف التجارية بالقطر المصرى أقامت حفلة شاى بفندق الكونتيننتال بعد ظهر يوم الأحد ١٨ أكتوبر ١٩٢٥ تكريما له فخطب فيهم الخطبة الآتية :

سادتى :

أحيى حضراتكم تحية الشاكر على ما أوليتمونى من فضل عظيم برغبتكم فى تكريمى هذا التكريم الذى أخجل حين أتصوره — ولو فى بعضه — موجها الى شخصى فانى ان كنت قد أديت عملا ترون أنه يستحق كل هذه الحفاوة فانى ما أديت الا قليلا . وما أديت الا بعض الواجب يمليه الضمير والشعور بالمسئولية الشخصية حيال الواجبات العامة . وليس لمؤد واجبه مهما اتصل عمله بأى مظهر من مظاهر الحياة العامة أن يكون موضع التكريم . فان الأصل أن يؤدى الناس واجباتهم والأصل أن يؤدوها فى الوسط الفاضل ، فى المدينة الفاضلة ، على غير انتظار شكر ولا توقع تكريم وكلما أمعن الوسط الاجتماعى فى الرقى والفضل كان المران على الواجبات العامة خاصة طبيعية من خاصيات النفوس . وكان أداء هذه الواجبات أمرا طبيعيا لا يلفت الناظر ولا يدعو الى شكر شاكر .

ولولا بقية من أدب كنت أخشى أن أتجاوز حدودها لشكرت الداعين الذين ألحوا فى عقد هذا الاجتماع ولاعتذرت عن قبول دعوتهم توفيرا

لنفسى عن الوقوف بها الآن موقف الاعتذار بقبول حفاوة لا أستحقها . وتعريض أذنى لسماع ثناء لا أستحقه .

وانى مع تأثرى غاية التأثر مما شاهدت اليوم من عطف القلوب السليمة وسمعت من أفواه الخطباء الكريمة فانى أسألكم مكرمة فوق مكارمكم العديدة . أسألكم أن تغيروا العنوان وأن تعتبروا ما وجهتموه الى شخصى موجها فى الحقيقة والواقع الى (بنك مصر) هذا المعهد المصرفى الذى يعمل ونعمل كل يوم على أن يكون أثرا قوميا شائعا لجميع المصريين لا أثرا شخصيا قائما بشخص أو بأشخاص معينين . وأن أكبر أمنية لنا أجمعين أن يصبح بنك مصر اسما قائما بذاته غير مرتبط باسمى ولا باسم زميلى الدكتور فؤاد بك سلطان ولا باسم رئيس مجلس ادارته صاحب المعالى مدحت يكن باشا ولا باسم زملائنا فى الادارة ولا باسم المساهمين . نريد (بنك مصر) أثرا قوميا قائما بذاته اذا ذكر ذكرت القوة المصرية فى الصبر والمثابرة والاقتصاد والتوفير والمال وحسن التدبير . واذا ذكر العنصر الفعـــال فى تكوين استقلال البـــلاد الاقتصادى . واذا ذكر ذكر كأنه علم بذاته كما يذكر بنك انجلترا . وكما يذكر بنك فرنسا . وانى أسألكم المعذرة فى هذه المقارنة فانه ليس ببعيد عليكم ولا على الأمة المصرية جمعاء أن تجعل (بنك مصر) فى مصر لا يقل فى مركزه عن (بنك انجلترا) فى انجلترا و(بنك فرنسا) فى فرنسا. مع بقاء الجوهر واحدا وحفظ النسب بين الثروة والثروة .

وبنك مصر فى الواقع أثر قومى قائم بذاته . ارادته مستتبة ونظامه سائر من تلقاء نفسه على مبادىء سليمة قوية . انما هو أثر قومى لم يبلغ بعد فى عظمته وقوته ما عليه الأمة المصرية وما ينبغى أن تكون عليه الأمة المصرية من عظمة وقوة . ولقد بلغ الشعور العام بأن هذا المصرف هو مصرف الأمة حقا وأنه مؤد للأمة ولأفراد الأمة خدمات صادقة حقا انه

ما كدنا نعرض للاكتتاب العام فى زيادة أسهمه مقدار ٢٥٫٠٠٠ سهم جديدة حتى أقبل المكتتبون عليها وحتى بلغ الاكتتاب، فى نهاية اليوم الثالث من افتتاحه . فى نهاية أمس (٢٧٧٠١) سهم ولست أدرى أمام هذا الاقبال وأمام هذه الثقة التى نشكر الأمة عليها جزيل الشكر ماذا تصنع ادارة (بنك مصر) أتقفل باب الاكتتاب وقد زاد عن المطلوب ؟ أم يستمر الاكتتاب حتى نهاية الموعد المضروب ؟ واذا استمر الباب مفتوحا أتقبل المبالغ المكتتب بها كلها ؟ أم يقبل الأسبق فالأسبق الى حد معلوم ؟ كل هذه أسئلة معلقة أسأل عنها منذ عودتى الى مصر وقد أسأل عنها الآن بوجه أخص فى حين أنى لا أملك عنها جوابا لأن الجواب عنها ملك لمجلس ادارة البنك الذى سيجتمع لهذه الغاية فى القريب العاجل .

وغريب أن يكون هذا الاقبال والمصريون على حافة صراع اقتصادى عنيف بين محصول من القطن وفير ونزول فى السعر كبير .

نعم اننا نفهم أن يتجاوز المحصول الأمريكى حد كل تقدير وأن يبلغ — على ما يقولون — سبعة عشر مليونا من البالات . وأن تؤثر هذه الكمية فى سعر القطن الأمريكى وبعض التأثير فى المصرى . ولكن الذى لا نفهمه أن يبقى قطننا معلقا للغرم دائما وقل أن يكون معلقا للغنم . وأن تكتسح الكمية الكبيرة الكمية الصغيرة مع الفارق بين النوع والنوع .

وهذه الحالة تستدعى علاجا ثابتا بتحضير وسائط دائمة تقضى على أسباب المضاربة المفتعلة وتصون مصالح القطر الزراعية . وأهم هذه الوسائل بث الروح التعاونية بين الزراع بتعميم النقابات الزراعية وجعلها حقيقة ممتزجة بحياة المزارعين امتزاجا كليا واقعيا لا صوريا . وايجاد أداة أو تنظيمات مالية من شأنها أن تساعد على تمويل النقابات وأن تصون

أسعار المحاصيل من التدهور الضار . وتنظيم أساليب استخبارية لمعرفة الحقيقة فى حالة الزراعة القطنية فى العالم وفى التوصيات الصناعية الدالة على مقطوعية العالم من الصنف المصرى والصنف الأمريكى . واكتشاف الأسواق الخارجية الجديدة للتصريف . وفى الحالة التجارية القطنية فى العالم . وفى السيطرة سيطرة فعلية على بورصتى الأقطان فى مصر . وفى انشاء صناعة وطنية للغزل والنسيج والتشجيع على ايجادها برءوس أموال مصرية وادارة مصرية .

هذا هو البرنامج الدائم لعلاج أزمة الأسعار التى تنتابنا من آن الى آخر فى حاصلاتنا الزراعية . وبنك مصر لا يألو جهدا فى بذل أقصى ما يستطيع من مساع للوصول لهذه الغاية . أفليس (بنك مصر) فى ذاته مثالا بارزا لفكرة التعاون؟ أو ليست فكرة التعاون بين مساهميه لا تختلف عن فكرة التعاون المراد بثها فى نفوس المزارعين ؟ فالبنك قائم على فكرة تعاونية مالية . والنقابات الزراعية قائمة على فكرة تعاونية زراعية . والبنك يشعر شعورا حقيقيا بوجوب تشجيعها ويغتبط بالارتباط بها فى حياتها ولو استدعى الحال انشاء ادارة خاصة بالنقابات الزراعية داخل بنك مصر . وهو مدفوعا بهذا الشعور قد رضى أن يكون بنكها تودع فيه أموالها على أن يقرضها ما تحتاج اليه من مال بشروط حسنة ومشجعة لهذه النقابات . ونحن نحيى هذا الارتباط الجديد بيننا وبين النقابات الزراعية الجديدة ونرجو أن يكون مقدمة لحركة مالية واسعة النطاق يكون من أهم أغراضها صيانة أسعار المحاصيل من النزول عن المستوى المعقول .

كذلك يعمل (بنك مصر) على تأسيس شركة مساهمة مصرية للغزل والنسيج لا زالت موضوع اهتمامه وبحثه حتى الآن . وهذا المشروع متى تم ، وسيتم بعونه تعالى ، ومتى بدأ نجاحه فى أعماله ، ونجاحه

مضمون بمشيئة الله ، سيقتضى حجز كمية من الأقطان ، مهما تكن قليلة أو كثيرة ، تخفف من ضغط المعروض على الأســواق فتساعد بعض المساعدة على بقاء أسعاره فى حدودها المعقولة .

على أن قطننا ومحاصيلنا وصناعتنا تبقى ضعيفة فى ثمرتها اذا لم تكن مدعمة فى حياتنا الاقتصادية بنظام تجارى مصرى قومى متين .

وهذا النظام أيها السادة على قسمين : قسم منه يرجع الى التشريع الخاص بالتجارة : من معاهدات تجارية . وتعريفات جمركية . وحماية للصناعات المحلية . أو اباحة الحرية للمصنوعات الأجنبية . وتعريفات للنقل فيما تملك الدولة من وسائط للنقل لا غنى للتاجر عن استخدامها فى نقل متاجره .

وقسم يرجع الى التجار أنفسهم . وكلا القسمين مرتبط بعضه بعض . فاذا لم يكن التجار منظمين فى صور غرف تجارية تتركز فيها المعلومات الخاصة والعامة عن الاحتياجات اللازمة لأداء التجارة مهماتها ولتشجيعها وتنشيطها فى غاياتها . فانهم لا يستطيعون أن يوضحوا للسلطات العامة ما هم محتاجون اليه من اصلاحات حتى تقر هذه السلطات ما لا يتعارض منها مع سواه وما يتحقق منه النفع الأكيد .

واذا لم يكن النظام التشريعى والعمل الحكومى قائما على فكرة تشجيع التجارة المصرية فان التجار مهما نظموا أنفسهم فى صور غرف تجارية أو جماعات تعاونية فانهم يرون أنفسهم دائما مثقلين بالعراقيل الناشئة عن عيب النظام القائم .

ومهما يكن ارتباط التشريع التجارى بالتجارة فان على حضراتكم أيها السادة التجار واجبات لا أحاول أن أبينها لكم فأنتم خير العارفين والعاملين على السير بمقتضاها .

فحضراتكم تعرفون جيدا ما تستدعيه أعمالكم من وجوب تنظيم محالكم التجارية وضبط دفاترها على قواعد حسابية وعمل الموازين اللازمة لمعرفة حالة التجارة وحساب الربح والخسارة والعمل على تحسين الشراء وتحسين البيع وتقليل الوسطاء بينكم وبين المنتج لتصريف الحاصلات والمصنوعات بين المستهلكين بأرخص الأثمان وتحديد ثمن البيع بما يضمن الربح فى حدود المنافسة المشروعة والاعلان عما تبيعون باعتبار الاعلان قوة عصرية من القوى اللازمة لحسن التصريف .

وحضراتكم تعرفون كيف تكونون تجارا بمعنى الكلمة وكيف ترتبطون بتعهداتكم وكيف لا تخدعون أنفسكم فلا ترتبطون بما لا قدرة لكم على القيام به . وكيف تحترمون تعهداتكم وتوفون بها فى مواعيدها وكيف تحرصون كل الحرص على شرف المهنة ورفع الاسم وازالة ما كان يعلق بأذهان الكثيرين من المنتجين الأجانب من أن التاجر المصرى لا يعرف قيمة المواعيد ولا قيمة المبادىء التجارية : هذا وذاك تعرفونه وتؤدونه طبعا فى حياتكم العملية بما هو أهل لأجمل الثناء .

انما لما كانت الحياة المصرفية التى أعيش فيها وسط (بنك مصر) . والحياة التجارية التى تعيشون أنتم فيها وسط متاجركم متصلين اتصالا وثيقا فانى أريد فقط أن ألفت حضراتكم الى وجه واحد من وجوه هذا الاتصال لا لأنه خاف عليكم بل لأنه من الأهمية بحيث يستحق الاشارة والذكر .

هذا الوجه هو أنه اذا كان التاجر لا غنى له فى هذا العصر عن الارتباط بأعمال البنوك فانه يحسن لكل تاجر أن يجعل أعماله محصورة فى بنك واحد . لا لأنى بذلك أدعو أن تكون أعمال كل تاجر مصرى محصورة فى بنك مصر وحده . بل أدعو الى أن تكون محصورة فى أى بنك يختاره .

وحصر أعمال التاجر فى بنك واحد من مصلحته ومصلحة البنـك الذى حصر فيه أعماله بل وفى مصلحة البلد نفسها فانه بفضل هذا الحصر يستطيع البنك أن يكون واقفا على جميع أعمال التاجر ، وعلى احتياجاته، فيسهل له أعماله ويوليه الثقة المالية التى يستحقها طبقا لمقتضيات هذه الحاجات . ولا يصح أن يعتبر البنك خصما له بل ينبغى أن يعتبره مساعدا له متمما لعملياته لا غنى لأحدهما عن الآخر . وما البنك الا كالطبيب ينبغى أن يكون واقفا على حقيقة الداء قادرا على اعطاء الدواء بالقدر اللازم . وما رابطته بالتاجر الا رابطة متينة تستوجب أن لا يخفى عليه شيئا من حساباته ولا من أعماله .

أما اذا تعامل التاجر مع جملة بنوك فهناك خطأ وخطر . خطأ فى التقدير . وخطر على سمعة البلاد وسمعة التاجر . اذ ماذا يعمل التاجر اذا تقدم لكل بنك ففتح له اعتمادا أو أقرضه ما يستحق من الاعتماد الا أن تكون النتيجة أن التاجر الذى يستحق اعتمادا قدره ألف جنيه يستطيع بهذه الطريقة أن يأخذ من كل بنك قدر هذا المبلغ فيصبح مدينا بمبالغ تفوق بكثير ما يمكنه القيام بسداده وتكون النتيجة المحتمة هى افلاسه وضياع أموال كبيرة على جميع البنوك وتشويه سمعة البلاد .

هذه العملية التى يأتيها أى تاجر تضر بجميع التجار وتضر بسمعة البلاد خصوصا فى بلد كبلدنا نرى البنوك فيها يزاحم بعضها البعض فى جلب العملاء اليها دون أن توجد بينها أى رابطة لمعرفة مراكز عملاء كل بنك . وهذا نقص فى هيكل نظامنا المصرفى جدير بأن يعنى بازالته .

ثم انا كثيرا ما نسمع بعض التجار يشكون من أن بعض الوسطاء (القومسيونجية) يرمون عليهم البضائع فيضطرون الى أخذ ما يزيد عن مقطوعياتهم . كما يشكون من شروط البعض الآخر .

وعندنا أن الذنب فى ذلك ليس على الوسطاء . لأنه لا يصح لرجل رشيد أن يقول انى أكرهت على شراء كذا أو أخذ كذا بشروط كذا . والتاجر الرشيد يعرف اللازم . ويعرف المقطوعية . ويقدر الظروف . ولو سار جميع تجارنا على ما يجب أن يسيروا عليه . ولو نظمت غرفاتنا التجارية تنظيما جديا أكثر مما هى عليه الآن لكان التاجر هو الذى يملى الشروط لا أن تملى عليه . ولوفق بين حاجاته ومقطوعيته وبين توصياته ومقدرته . ولعرف حاجة بلاده والوسط الذى يبيع له . ولما ارتمت البضائع عليه كيفما يرسلها المنتج . بل ولسيّر المنتج . وطلب اليه ما تحتاج اليه السوق . وما يتطلبه المستهلك .

وأذا كان رقى التجارة من ناحية أخرى بوسائط النقل التى يستخدمها التجار كما قدمنا فان مما يسرنا جميعا أن تكون قد أسست بمعونة بنك مصر شركة مساهمة مصرية جديدة هى (شركة مصر للنقل والملاحة) وأن يكون من أغراضها النقل بجميع وسائطه والتخليص على البضائع والتأمين عليها والتخزين الى غير ذلك من الأعمال التى يحتاج اليها كل تاجر . وأن يكون فى وجودها ما يشجع على نقل الأشخاص والبضائع برا وبحرا . فلا تجارة مالم تكن مدعمة بملاحة . ولا ملاحة مالم يخفق فوقها علم البلاد التى ترد اليها أو تصدر منها المتاجر المختلفة .

كذلك قد وجدت للتجار والصناع المصريين فرصة نفيسة للاعلان عن متاجركم بطريقة الصور المتحركة . وذلك بانشاء شركة جديدة بمعونة بنك مصر هى « شركة مصر للتمثيل والسينما » من وظائفها فيما يتعلق بالصور المتحركة أن تستجمع صور الحياة الاقتصادية تجارية كانت أو صناعية أو زراعية وأن تعرضها على الجمهور سواء فى الداخل أو فى الخارج ليعرف الناس ما لدينا من متاجر ومصانع ومزارع .

وفى الختام أشكر حضرات الداعين على دعوتهم . ولطف حفاوتهم . وأشكر حضرات المدعوين على حضورهم هذا الاجتماع الذى أرجو أن يكون باكورة اتحاد وتضامن بين الغرف التجارية المختلفة للعمل على ترقية التجارة المصرية وحال التجار المصريين .

والسلام على حضراتكم أجمعين .

خطبة محمد طلعت حرب بك

عن قوة السينما وطريقة استخدامها فى مصر

ووظيفة شركة مصر للتمثيل والسينما وأعمالها وأغراضها

ألقيت فى الحفلتين الساهرتين اللتين كان قد دعى اليهما أعضاء البرلمان والوزراء وكبار رجال الحكومة وكبار الأعيان ورجال الصحافة والأدب وعدد غير قليل من ذوى الحيثيات والفضل لمشاهدة بعض الصور المتحركة التى صنعتها شركة مصر للتمثيل والسينما وعرضتها فى تياترو حديقة الأزبكية مساء يومى ٢٩ و٣٠ مارس سنة ١٩٢٧ أمام حضرات المدعوين ٠

أيها السادة :

باسم رئيس مجلس ادارة شركة مصر للتمثيل والسينما ، داعى حضراتكم الى هذه الحفلة ، وباسم مجلس الادارة الذى أتشرف بالعضوية فيه ، أشكر حضراتكم جزيل الشكر على اجابة الدعوة وتفضلكم بالحضور لمشاهدة بعض مناظر الصور المتحركة التى صنعتها الشركة .

وكم كنا نود فى هذه الليلة من ليالى رمضان المبارك ، التى يحلو فيها السمر ، أن تكون الصور التى نستعرضها أمام حضراتكم عبارة عن رواية من الروايات مصرية فى موضعها ، مصرية فى أشخاصها ، مصرية فى مناظرها ، ومصرية فى صناعتها ، لولا أننا أيها السادة فكرنا منذ الساعة الأولى من تأسيس هذه الشركة فى سنة ١٩٢٥ أن صناعة السينما صناعة واسعة الأطراف متعددة النواحى وأن الحكمة تقضى علينا بالتدرج

فيها فنأخذ بالبسيط من عناصرها أولا حتى اذا أتقنا صنعه انتقلنا الى تركيب مزيج وسط من هذه العناصر ثم ارتقينا فى النهاية الى وضع الروايات بالصور المتحركة وعرضها على اللوحة البيضاء أمام الناظرين .

١ ــ قوة السينما ورواية السينما

وذلك لأنه من يوم أن اخترع السينما فى سنة ١٨٩٥ والرواية مظهره الأعظم لما يترتب على عرضها أمام الأنظار من اجتذاب الجمهور اليها سيما اذا كان أشخاص الرواية ممن يمتازون بالجمال أو بحسن الايماء وكان موضوعها مما تهتز له القلوب .

ومن أجل الرواية ومن أجل اقبال الجمهور عليها ، أصبح السينما قوة هائلة من قوى العصر الحاضر قد تناطح قوة الصحافة وقد تسبقها بعد حين .

ومن أجل الرواية ، ومن أجل اقبال الجمهور عليها ، اتسعت صناعات السينما فوجدت مصانع لصنع الأشرطة الخام ، ووجدت مصانع لصنع آلات لأخذ المناظر ولتحميض الأشرطة وتلوينها وتنشيفها وطبعها وترتيب سياقها واختيار ما يصح اختياره منها وتقديم ما يراد تقديمه وتأخير ما يراد تأخيره ، وآلات لقياسها ولفها ، وماكينات لعرضها فضلا عن ماكينات أخرى يستحيل حصرها حيث الصناعات ناشئة والتقدم فيها سائر بخطى واسعة عاما بعد عام .

ومن أجل الرواية ، ومن أجل اقبال الجمهور عليها ، تكونت طبقات جديدة من الفنانين : تكون الممثلون . وظهر أن الممثل فوق المسرح قد يبرع فى التمثيل الناطق لرنة فى صوته أو حرارة فى القائه . أما فى التمثيل الصامت ، فى التمثيل بالسينما . فالممثل ينبغى قبل كل شىء أن يكون حسن الاشارة والايماء . فبالاشارة وحدها ، الاشارة باليد ، وخصوصا

الاشارة بالعين ، يتفاضل الممثلون الماهرون بعضهم عن بعض . وتكون بجوارهم مديرون فنيون بلغت درجات التخصص فى أعمالهم جدا يعرفه الاخصائيون .

ومن أجل الرواية ، ومن أجل اقبال الجمهور عليها ، تكونت أحياء كاملة فى جميع بلدان العالم الراقية ، بل تكونت فى أمريكا مدن قائمة بذاتها بجبالها ووهادها ، وأنهارها وبحيراتها ، وأشجارها وغاباتها ، وبيوتها وقصورها ، لتجرى فيها حوادث الروايات المراد أخذها بآلة التصوير الخاطفة . وعملت قوة الخيال على التصرف بموجودات الطبيعة فى المكان مقرونة بقوة الابتكار فى اختراع وسائط مصطنعة سرها عند أهل الفن من رجال السينما ترينا الانسان طائرا أو ساقطا من شاهق ، أو خارجا من انفجار ، وهو فى كل هذه الحالات سليم لا يمس بأذى وكم فى هذه الابتكارات من نكات لطيفة وأساليب طريفة أثارت الاهتمام من أضعف الناس خيالا أو الضحك من أشد الناظرين عبوسا وأقلهم فى الحياة ضحكا .

ومن أجل الرواية ، ومن أجل اقبال الجمهور عليها ، تكونت الشركات لاستغلال عرض الصور المتحركة فى دور خاصة بالسينما تحكى دور التمثيل ولو أنها تختلف عنها فى عدم الاحتياج الى المناظر وفى أن أحسن مقاعدها ما كان منها بعيدا عن اللوحة البيضاء .

وبفضل هذا النظام الدقيق فى الغرب ، المبنى على التخصص واتقان كل عامل ما يخصه من عمل ، وبفضل الذوق الذى هو الحجر الأساسى فى كل عمل فنى ، استطاع القائمون بأمر الروايات أن ينفقوا على الرواية الواحدة عشرين فأربعين ألف جنيه فأكثر من ذلك . ولكنهم استطاعوا أن يطبعوا منها بدل النسخة الواحدة عشرات النسخ تطوف داخل بلادهم ثم توزع بترتيب محكم من قطر الى آخر حتى لا ينقضى العام الواحد

الا كان أكبر عدد من دور السينما الراقية قد استعرضها على لوحته البيضاء .

فالسينما أكبر اختراع عصرى صادف هوى فى النفوس فأصبح قوة جذابة من قوى العصر . وسيبقى كذلك مع توالى العصور سيما وان التحسينات المتوقعة له فوق ما يتصوره العقل . وقد يكون أهمها تدوين الأصوات وأداءها فى وقت واحد مع شارة الممثلين بجهاز يحاكى جهاز الفنوغراف يسير بسرعة واحدة مع سرعة عرض الأشرطة المتحركة .

واذا كان اختراع السينما قد أدى حاجة نفسية من حاجات البشر فانه ككل اختراع له محاسنه وله عيوبه .

له محاسنه فى خلق صناعات جـديدة ، وفى خلق ميادين للذكاء الانسانى ، أو الذوق الفنى ، يعمل فيها بنشاط غريب . وله محاسنه فى تسلية الناس والتفريج عن صدورهم بالضحك الساذج . وفى تلقينهم معلومات مفيدة كانوا يجهلونها قبل أن يروها على اللوحة البيضاء . وفى وقوفهم على مناظر بديعة للطبيعة والبلدان كان من المتعذر الوقوف عليها بغير عرض الأشرطة المتحركة . وفى اثارة الحماسة فى نفوسهم فى مواقف الحماسة ، وتحبيذ الشجاعة والهمة والمروءة فى مواقف الأخلاق الفاضلة .

ولاختراع السينما من الجانب الآخر عيوبه . فان الفضائل لا تعرف الا بمقابلتها بالرذائل . فالشجاعة بالجبن . والمروءة باللؤم . والبراءة بالاجـرام . والاحسان بالاساءة . ومن هنا ظهر على اللوحة البيضاء المحاسن والاضداد . فظهرت صور منحطة من الناس ، وأعمال منطوية على خبث نياتهم . وظهرت الجرائم كيف تدبر ، والجنايات كيف ترتكب ، والخيانات كيف يحيك شباكها الخائنون . فكان لعرض هذه المساوىء تأثيرها السيىء فى بعض النفوس الساذجة أو المستعدة للشر لأى سبب

طبيعى أو خلقى اجتماعى حتى أثارت فى بعض الأحيان عاطفة الشر منهم فاندفعوا بعامل التقليد الى ارتكاب الجرائم بجرأة مأخوذة تماما مما شاهدت العيون على اللوحة البيضاء . بل وقد ترتكب معايب لا تذهب الى حد الاجرام المعاقب عليه ولكنها تذهب فقط الى الحط من الأخلاق دون التعرض لعقاب القانون .

ومن أجل المبالغة فى عرض هذه الأضداد التى أصبحت المبالغة فيها عيوبا ظاهرة من عيوب السينما ، تقررت الرقابة على الأشرطة فى معظم البلدان . ومع هذا فان الرقابة خفيفة فى بلاد الغرب . وهى خفيفة بالمثل فى بلادنا . وهى لو تشددت عندنا فى اختيار الروايات لدور السينما لوجب أن يقضى على معظم ما يرد الينا من الغرب .

وللمؤلف فى البلاد الغربية أن يؤلف فى أى موضوع يشاء لأن حرية التفكير مطلقة لأهل الفكر . غير أن عرض ما يؤلف الروائى ينبغى أن يمر برقابة . واذا أجاز الرقيب عرض ما لا يجد مانعا من عرضه فان بعض الدول كسويسرا يتحاشى عيوب السينما بمنع الصبيان والفتيات عنها ما داموا لم يبلغوا السادسة عشرة من أعمارهم وهم مع هذا غير محرومين من بعض روايات صبيانية بريئة تعرض لهم خاصة فى بعض الأعيـــاد السنوية . وفى تركيا الآن مشروع يقضى بحرمان الفتيات والفتيان لغاية الثامنة عشرة من أعمارهم من دخول دور السينما .

أما فى بلادنا فقد يكون من المتعذر منع الصبيان والفتيات من دخول دور السينما بسبب الامتيازات الأجنبية فضلا عن أن الوارد من روايات الغرب كثيرا ما يحوى أشياء لا يصح عرضها على الكبار سواء بسواء . ولهذا فاننا فكرنا منذ تأسيس شركتنا ولا زلنا نعتقد فى أن الخطة المثلى لمقاومة الفاسد من روايات السينما التى تصل الينا من الغرب هو أن

تنجح شركتنا فى أعمالها المتواضعة التى تزاولها الآن ثم تكبر وتقوى حتى تكون قادرة على اخراج روايات مصرية ذات موضوعات مصرية وآداب مصرية وجمال مصرى تكون فى منزلة عالية من الفن تسمح بعرضها فى بلادنا وفى البلاد الشرقية المجاورة وتكون أقرب لعاداتنا وطقوسنا وأحوالنا الاجتماعية من الروايات الأجنبية التى تكتظ بها دور السينما فى الشرق والتى كثيرا ما تحوى حوادثها ومناظرها ما لا يتفق وعاداتنا وآدابنا الشرقية .

ومع أن هذه أمنية من أمنياتنا فاننا نسرع فنقول : انه لتعذر اخراج الرواية فى الوقت الحاضر قد أدركنا عند تأسيس شركتنا ان الرواية التى لا ننكر أهميتها وسلطاتها على النفوس غاية من الغايات البعيدة تأتى بعد مراحل أخرى ينبغى أن تسبقها ويتحتم علينا قطعها اذا شئنا أن نسير بعملنا فى طريق النجاح .

٢ ـ مصنع مصرى للسينما

وقد بدأنا فعلا فى السينما بما نعتقد أنه واجب فى البداية . بدأنا بايجاد مصنع كامل الاستعداد لأخذ المناظر بماكينات . وتحضيرها فيه تحضيرا فنيا ، واخراجها منه صالحة للعرض فوق اللوحة البيضاء . وقد عانينا ، أيها السادة ، فى انشاء هذا المصنع المصرى شيئا غير قليل من المتاعب حتى انتهينا باقامته فى شقة كبيرة من عمارة مطبعة مصر فى شارع الدواوين . ونعتقد أنه لا يوجد مصنع فى القطر المصرى مستعد استعداد مصنعنا لاخراج الصور المتحركة بدرجة مشكورة من الاتقان . فلدينا فيه ماكينات متعددة لخطف المناظر ولدينا غرفة للتحميض قادرة على اخراج شريط من ألفى متر فى اليوم الواحد . ولدينا غرفة لتنشيف الأشرطة بعد تحميضها وغرفة أخرى لطبع الأشرطة أى لنقلها من الشريط

السالب الى الشريط الموجب . وماكينات لصنع العناوين وماكينات وآلات ومعدات أخرى يطول أمر بيانها .

وطبعا ان كل هذه الماكينات قد استحضرناها من الغرب لاستحالة صنعها الآن فى مصر . غير اننا أوجدنا بمصنعنا غرفة للميكانيكا الدقيقة يعمل فيها مهندس كهربائى على اصلاح ما يقع فى الماكينات أثناء العمل من عطب أو تعقيد طارىء يصعب اتقاؤه . ولا نستبعد أن تكون هذه الغرفة الصغيرة هى النواة لمصنع آخر من مصانع الميكانيكا الدقيقة ، نحن نرى على الأقل انها فرصة حسنة لموظفى شركتنا المصريين يألفون بها خبايا الماكينات التى يستعملونها عند ضرورة فكها لتصليحها واعادة تركيبها كما كانت . فما عاشت صناعة فى بلدة من البلدان مالم تكن الأيدى العاملة فيها قادرة على فهم ماكيناتها تمام الفهم .

على انه لم يخطر ببالنا أن نصنع ماكينات للسينما . فان هذه غاية بعيدة تأتى كنتيجة محتمة لتقدم السينما فى الشرق وارتقاء الصناعات المعدنية فى مصر . انما نحن باقامة هذا المصنع من ماكينات حديثة الطراز مستحضرة من الغرب نريد فقط أن نعرف كيفية استعمالها فى أخذ المناظر بالأشرطة الخام التى تصل الينا من الغرب أيضا . وفى جعل الشريط الخام شريطا مصنوعا أى مطبوعا عليه ما نشاء أن يطبع عليه من مناظر . وجعل الشريط المصنوع متقنا فى صناعته لا ينم عن أى عيب فنى عند عرضه فوق اللوحة البيضاء .

وللوصول الى هذه النتيجة ، أى الى اخراج أشرطة مصنوعة صنعا فنيا ، كم عانينا من المتاعب أيضا فى تكوين جماعة الفنيين اللازمين لهذه الأعمال حتى انتهينا بعد عامين الى استخدام جماعة من الفنيين الأوروبيين القادرين على مزاولة هذه الأعمال الفنية . وتبعا لخطتنا ، وهى أن تكون

المعاهد التى نقيمها بمثابة مدرسة لتدريب المصريين ، ألحقنا بجوار كل فتى أوروبى شابا مصريا يأخذ عنه . وطمأنا الأوروبى على مستقبله حتى لا يبخل بتعليم المصرى . على ان المصرى الذى يعمل فى مصنعنا ويقدم البرهان على حسن استعداده وقابليته للتقدم فى فنه لا نبخل فى الحاقه بالمصانع الكبرى فى أوروبا بضعة شهور على نفقتنا حتى يزداد خبرة بدقائق الفن وأسرار العمل .

٣ – دائرة عمل الشركة

وجد المصنع ووجد العمال فماذا نصنع به وبهم ؟

سؤال قد أجبنا عليه بعض الجواب بتقريرنا انه ليس فى نيتنا أن نشجع الآن على وضع رواية السينما ، ولا على طبعها وعرضها . لأن الرواية وان كانت هى العامل الأقوى فى حياة السينما الا اننا لا نستطيع أن نعض فيها وأسناننا ما زالت فى هذا الميدان طرية .

واذا طرحنا الرواية من عملنا وقتيا فماذا نحن صانعون ؟

ان هناك ، خلاف الرواية ، ميادين واسعة للعمل تناسب حالتنا المبتدئة وتناسب حاجاتنا الاجتماعية .

هناك مناظر مصر الطبيعية . وكم فى مصر من مناظر تسترعى بجمالها الألباب : هناك النيل . ووادى النيل . وزرع الوادى وشجره وشادوفه وسواقيه ونخيله ومراعيه . وهناك صحراؤها ورمالها وقوافلها وجمالها وواحاتها تبكى عزلتها وبعدها عن الوطن العزيز . وهناك بحيراتها وبحارها تثير أمواجها الشجون وتنعكس فوق لجينها أشعة القمر ساطعا فى سماء مصر قدر صفاء الأضواء فى النهار . وهناك الوديان المنبطحات والجبال الشاهقات مختلفة الألوان باختلاف تكوينها الجيولوجى وباختلاف ما تحويه من معادن فى جوفها السحيق .

ثم هناك ما استحدثته يد الانسان من قرى لها جمالها مهما كان بناؤها من الطوب الأخضر ولها شعارها الخاص بطرقها الضيقة وما يحيط بها من قنوات أو يكتنف أجرانها من أشجار . ومدن ، لكل مدينة منها طابعها الخاص منها ما هو قريب من الفطرة . ومنها ما هو مستحدث فى فن العمارة .

وهناك ثم هناك آثار الأجداد قائمة من ثلاثة الى ستة آلاف عام بين أهرام ومسلات ومعابد ومقابر وقصور أحجارها من اسوان قد حار فى كيفية نقلها الانسان . ونقوشها ورسومها لا زالت حافظة رواءها وزهاءها مهما تعاقب الحدثان .

وهناك الآثار العربية بجوامعها تمتد منائرها الدقيقة نحو السماء وتبدو منابرها آية فى دقة الصناعة ومقابرها بنقوش سر جمالها فى استقامة خطوطها وتعاشق مثلثاتها ومربعاتها ومسدساتها وتجانس ألوانها البهيجة ودقة الصناعة فى أبوابها ونوافذها ومشربياتها مطعمة بالصدف تدهش الناظرين .

وهناك زراعة البـــلاد . وكم من مقيمين فى مدننا ، ونحن فى بلاد زراعية ، يجهلون كيف ومتى يزرع ويجنى القطن أو القصب أو القمح أو الذرة أو الأرز فضلا عن بقية الفواكه والخضروات والمحاصـــيل الزراعية . فلو ان آلة السينما الخاطفة تتبعت زراعة كل صنف من أصناف المحاصيل فى أوانه لخرجت لنا مجموعة ناطقة بأحوالنا وعاداتنا الزراعية فى هذا الزمان .

هناك الصناعات المصرية . الكبيرة كصناعة حليج الأقطان وتكرير السكر . والصغيرة كصناعة الحرير وصناعة السلات من القش فان هذه الصناعات تتطور الآن تطورا غريبا . فالموجود منها يتحسن . وغير الموجود يتهيأ للوجود . ومن الصناعات ما يخشى أن يزول من البلاد تماما . وكم يكون من المفيد تاريخيا أخذها وتصوير حركاتها بالسينما قبل الزوال .

فضلا عن ان الصناعات المصرية فى ذاتها فى حاجة الى أن يعلن عنها فى الداخل وفى الخارج وأى شىء أوقع فى الاعلان عن صناعة مصرية أو غير مصرية من اظهارها فى شريط سينما يعد لها خاصة فتستعرض فيه المواد الخام ومصادرها وطريقة تحويلها والماكينات أو الآلات والمعدات المستخدمة فى هذا التحويل كما تستعرض الأيدى العاملة وقوة المجهود المبذول حتى يخرج الشىء المصنوع معدا للتداول بين أيدى الناس .

ثم هنالك التجارة والمتاجر . هنالك السواحل والأسواق . وهنالك المخازن الصغيرة والمخازن الكبيرة والمعارض والمعروضات . والغرف التجارية . والموازين والمكاييل . والعملة المتداولة . والمصارف على اختلاف أنواعها : كل هذه مناظر جديرة أن تؤخذ بشريط الصور المتحركة لتعرض حسب خطة ماهرة للعرض يعود أثرها بالفائدة على تجارة البلاد .

وهنالك الوزارات والادارات العمومية ودورها وقصورها مع ايضاح شىء من تاريخها . والمدارس الأميرية على اختلاف درجاتها والمدارس الأهلية على اختلاف جمعياتها والجمعيات العلمية والفنية ومظاهر نشاطها فى البلاد .

وهنالك الصحة العمومية ومقاومة الأمراض التى تتعرض البلاد للاصابة بها خاصة وقانا الله شرها نعم قد توجد أشرطة تأتينا من الخارج لكن تأثيرها محدود . لأن الأمكنة أوربية غير مألوفة من سواد الناس . والأشخاص أجانب عنا . أما لو أخذت أحوال الأمراض فى مستشفياتنا المعروفة من الناس . ولو أخذت صور الوقاية منها بأشخاص معروفين من الهيئة الاجتماعية المصرية لكان العرض فى اللوحة البيضاء أعمق أثرا فى نفوس الناظرين .

وهناك أعمال الرى من خزانات قائمة وقناطر مشيدة ، وطرق تصريف المياه وضبطها وتوزيعها فى الترع وطرق صيانة الجسور وحفر الأقنية وطرق الصرف وتطهير المصارف كبيرها وصغيرها .

وهناك المواصلات بالسكك الحديدية واسعها وضيقها وبالطرق العمومية برا تجتازها دواب النقل والعربات والسيارات على اختلاف أنواعها والمواصلات النهرية أى الملاحة النيلية بمراكبها الشراعية وذهبياتها ورفاصاتها وبواخرها والأهوسة التى تخترقها . والملاحة البحرية من موانى وأحواض وفنارات . والملاحة الجوية .

وهناك غير هذا مواضيع شتى يقصر البيان من حصرها فى هذا المقام ولو أننا مرتبون مواضيعها فى شركتنا ترتيبا علميا نظاميا ومستعدون أن نعمل فى تنفيذ كل موضوع من المواضيع بارشاد أخصائى . ففى المناظر الطبيعية نسترشد بأى شاعر مصرى يتفضل بارشادنا للدلالة عن مواطن الجمال فى الطبيعة المصرية . واذا لم يتفضل علينا شاعر أو عالم بهدايته استرشدنا باحساس الجمال يسوق عمالنا الى الجميل من الأشياء ونماذج الأحياء أيان يجدونه وانى يعثرون عليه . وفى الآثار نهتدى برجال الخبرة فيها من علماء فى تاريخ مصر القديمة أو تاريخها فى القرون الوسطى . وفى الزراعة بالاخصائيين الزراعيين يعرفون طرق الزراعة قديمها وحديثها ويدلون عليها دلالة تحسن انتاجنا الزراعى وتحبب الينا تنويع المحاصيل حتى لا نبقى تحت رحمة محصول واحد . وفى الصناعة بكل خبير فى صناعته . وفى التجارة بالراغبين فى الاعلان عنها أو العارفين دخائلها . وفى مقاومة الأمراض واتقاء وقوعها بالأطباء الذين يملكون بجوار خبرتهم الطبية ملكة روائية تساعد على ترتيب المناظر وجعلها منساقة فى قالب ذوقى لطيف على النفس غير ثقيل الوقع ولا جاف الوضع . وفى الرى بمهندس نابغ فيه . وفى المواصلات بالخبيرين فى

مختلف أنواعها برا ونهرا وبحرا وجوا . وبالجملة نستعين فى كل مادة بالخبير فيها يعاوننا فى وضع خطة أو ترتيب لكل موضوع يراد أخذه بالآلة الخاطفة كما يعاوننا فى وضع الايضاحات والعناوين بين أجـزاء الشريط الواحد حتى تحصل الفائدة عند عرضه من قراءة العناوين والايضاحات ومن تتابع المناظر الخاصة .

وهذه المواضيع كلها تعتبر مواضيع وصفية عن أشياء محسوسة قائمـة .

الا أن هناك مواضيع وصفية أخرى عن حركات المصريين وحيـاتهم الاجتماعية وحوادثهم الهامة يجدر تركيزها فوق اللوحة البيضاء . وفى هذه المواضيع يدخل وصف الأعياد القومية والحفلات السنوية كحفلات الكسوة الشريفة والمحمل وفتح الخليج والموالد الشهيرة وافتتاح البرلمان واستعراض الجيش والمسابقات الرياضية والحـوادث الطارئة الهامة كمؤتمر الغزالين اللذين انعقدا أخـيرا فى القاهرة واللذين صـورنا حوادثهما ومواضيعهما بقدر المستطاع . وسيعرض على حضراتكم شىء منهما فى هذه الليلة . والحوادث الهامة فى حياة الجماعات والأفراد التى يراد تدوين تذكارها بشريط الصـور المتحركة كأخذنا تذكار اجتماع الجمعية العمـومية للمساهمين فى بنك مصر السنة الماضية حيث كان الاجتماع نهارا . وأخذنا صور حفلة افتتاح مدرسة خيرية فى هليوبوليس واستعدادنا لأخذ صور حفلة افتتاح عمارة بنك مصر الجديدة قريبا ان شاء الله تعالى . واستعدادنا لأخذ مثل هـذه الصـورة التذكارية للجماعات والعائلات بل وللأفراد كتذكار حفلة زواج يراد حفظها فى مدخرات العائلة . وبالجملة فان فى هذا الميدان ميدان حياة المصريين العمومية وحياتهم العائلية والفردية لمتسعا للعمل تقوم به شركتنا بغاية الارتياح تثبيتا للحوادث أو بقاء لتذكاراتها .

وهذه الصور على بساطة موضوعها تعتبر فى الواقع مستندات قيمة فى تاريخ المصريين . أرأيت كيف يصعب علينا أن نتصور بالضبط أى حفلة من حفلات أجدادنا منذ مائة عام فقط ؟ بل أرأيت كيف يصعب اعادة تصوير الحفلات الهائلة التى أقامها اسماعيل لافتتاح قناة السويس مثلا ؟ فالسينما تحفظ الحوادث : تبقى للأحياء تذكارها طالما هم أحياء ، وتبقى للمؤرخين مادة حية يستأنسون بها خير استئناس فى تاريخ الحياة الاجتماعية .

بل هناك مواضيع هامة ينفع أخذها بالصور المتحركة نفعا عظيما من الوجهة العلمية أو الفنية . كأخذ شريط مناظر عن طريقة اجراء بعض الأعمال النادرة المثال . كالطريقة التى تتبع فى تشييد كوبرى غريب فى بابه . أو الكشف عن أثر قديم . أو ترميم بناء أثرى على شفا السقوط وطريقة ترميمه بواسطة عالم من علماء العاديات . فان الطرق التى تجرى فى هذه الأعمال لا تكون طرقا عادية مألوفة بحيث يحسن اثباتها فوق شريط الصور المتحركة والانتفاع بها علميا وفنيا . اذ أنه من المستحيل أن يبلغ قلم عالم من علماء العاديات أو أى مهندس فى وصف دقائق أى عملية من عملياته قدر ما يبلغه شريط الصور المتحركة . فهو صورة متحركة طبق الأصل بغير حاجة الى تسجيل قلم العقود !

وكل هذه ، أيها السادة ، مواضيع شتى ، يضيق النطاق عن حصرها ولكن فى تعداد بعضها وفى فوائد أخذه بالصور المتحركة ما يكفى لتقديركم أهمية العمل الذى يمكن أن تقوم به شركتنا .

على ان ما قدمنا من أمثلة المواضيع يخص مصر وحدها . ولمصر جارات تتطلع اليها وتقتدى بها وتترسم خطواتها . ونحن اذا استوعبنا المواضيع المصرية واستوفينا خدمتها نجد دائما فيها مواضيع أخرى

قابلة للتجديد واظهارها فى مظهر جديد . ونحن اذا وصلنا الى هذه النقط انتقلنا الى البلاد الشرقية القريبة وطبقنا على اقليمها ، ومناظرها الطبيعية وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية ، عين الطريقة التى نستعملها أو نكون قداستعملناها فى مصر . وبفضل ذلك نستطيع استخدام قوة السينما فى زيادة التعارف بين مصر وجاراتها الشرقية القريبة لمصلحة الثقافة المشتركة والمنافع التجارية المتبادلة .

من هذا ترون حضراتكم أن ميادين العمل ، خارج رواية السينما ، واسعة الأطراف فى مصر وفى البلاد الشرقية المجاورة .

ومع هذا فاننا نقصر الكلام عن مصر ونقول اننا بعد أخذ هـذه الصور يتحتم علينا عرضها والانتفاع بها .

فما هى طريقة العرض وما هى طريقة الانتفاع ؟

٤ – عرض الأشرطة المصرية للتعليم

أما طريقة العرض فاننا ننتفع بما نصنع ليعرض فى أكبر عدد من دور السينما نستطيع عرضه فيها بمصر والاسكندرية . وننتفع بما نصنع ليعرض فى عواصم المديريات والمراكز بل وفى القرى بواسطة سيارات متنقلة حديثة الطراز على مثال أفضل سيارات مستعملة فى الغرب أوصينا على عدد منها بحيث يكون داخل كل سيارة جهازها الكهربائى ولوحتها البيضاء وجميع معدات العرض بسهولة مدهشة .

ولما كانت أشرطتنا تعليمية وكان فيها بعض أشرطة لا يخلو من الاعلان عن الصناعات والمتاجر والمحاصيل والمنتوجات المصرية فقد لاحظنا ان عرضها وحدها قد لا يجتذب العدد الكبير اليها فاتفقنا مع بعض البيوت الأجنبية على استئجار بعض الروايات المضحكة التى تناسب حياتنا فى

الأقاليم لعرضها فيها وتشويق الناس الى ما يكون بجوارها من أشرطة تعليمية نافعة .

والواقع أيها السادة ان الصفة الغالبة فى الأشرطة التى نصنعها هى الصفة التعليمية يستفيد منها الناس خاصتهم وعامتهم كما يستفيد منها طلبة المدارس وتلاميذها على اختلاف درجاتها .

ولهذا فاننا نعتقد ان مهمة شركتنا التعليمية فى صنع الأشرطة وفى عرضها تجعلها شركة من الشركات التى تؤدى خدمات ذات منفعة عامة وترشحها بحق لأن تتولى هذه المهمة فى مدارس الحكومة بالاتفاق مع وزارة المعارف العمومية وفى المدارس الأهلية بالاتفـاق مع اداراتها خصوصا وان العادة فى البلاد الغربية هو ان صنع الأشرطة وعرضها فى المدارس عمليات فنية تختص بها الشركات مثـل شركتنا أو الجماعات التعليمية التى تعضدها الحكومة والبلديات بالاعانات المالية السنوية . ويبقى اختصاص وزارة المعارف محصورا فى الاتفاق مع هذه الشركات ، وفى اختيار الأشرطة التى يحسن عرضها على المدارس ، وفى مراقبة تنفيذ الاتفاق .

هذا كله فيما يتعلق بطريقة العرض داخل القطر المصرى .

٥ ــ عرض الأشرطة المصرية لمقاومة الدعاية الأجنبية الباطلة

أما فى الخارج ولا سيما فى أوروبا وأمريكا فاننا نسعى لتوثيق روابط مع الشركات المشتغلة بالسينما لعرض أقصى ما يستطاع عرضه فى دور السينما الأجنبية من صورنا المتحركة التى نصنعها فى مصر .

وغرضنا من هذه المساعى فى الخارج هو أن نظهر مصر على حالتها الحقيقية . فانه من العيب الفاضح أن تأتى شركة كبيرة أجنبية من شركات صنع الأشرطة ولا تجد فى تصوير القاهرة فى مجموعة مدن العالم الا رسم

رجل حاو يلعب بثعبان أمام السياح عند مدخل فندق الكونتيننتال . كأن القاهرة كلها ليس فيها غير هذا المنظر لتصويرنا نحن المصريين فى عاصمة بلادنا .

ومن العيب الفاضح أن تستمر الدعاية الفاسدة فى الخارج تصورنا فى شكل أمة قريبة من حالة الهمجية حتى ان بعض السياح الذين اجتمعنا بهم فى مؤتمرى الملاحة والقطن أعربوا لنا صراحة انهم كانوا لا يتصورون مصر كما رأوها بل كانوا يتصورونها قطعة من شعوب أفريقيا الوسطى .

ومن العيب الفاضح أن يصورنا المغرضون من الأجانب فى صورة أمة تفتك بها الأمراض ويتعرض السائحون فيها للأوبئة حتى يمنعوا السياح من زيارة بلدنا ولابقائهم فى الشتاء فى بلاد أخرى قل أن يبلغ جوها مناعة جونا فى مصر خريفا وشتاء . وشريط الصور المتحركة وحده هو الذى ينبغى استخدامه فى الغرب للقضاء على هذه الدعاية الفاسدة .

ومن العيب الفاضح أن يصورنا الأجانب المغرضون فى الخارج من طينة منحطة عن طينة البشرية المتمدينة وأن نبقى مكتوفى الأيدى لا نعمل شيئا لاظهار ان الشعب المصرى متمدين كبقية الشعوب المتمدينة ولاظهار آثاره العملية الماضية والحاضرة فى حياته المهذبة . وشريط الصور المتحركة وحده هو الذى يتحتم استخدام قوته لاظهار الأمة المصرية فى صورتها الواقعية الصحيحة .

٦ ــ أغراض الشركة العملية

نحن اذاً ، أيها السادة :

١ ــ نعمل للصناعة فنأخذ بيدها صغيرة فى مصر حتى تكبر وتشابه الصناعات الكبرى فى الخارج .

٢ ــ ونعمل حتى لا نخضع لقوة السينما تأتينا من الخارج حسب

أحكام الخارج وأذواقه دون أن يكون لنا قوة قومية تنتج الأشرطة التى تناسبنا وترد بعض الأشرطة التى لا تصلح لنا الى مصادرها الأجنبية .

٣ — ونعمل لأداء وظيفة هامة هى استخدام أقوى سلاح عصرى للاعلان عن محاصيل البلاد الزراعية ، وعن منتوجاتها الصناعية ، وعن تجارتها التى نرجو أن تتسع يوما بعد يوم .

٤ — ونعمل خصوصا لأداء مهمة ذات صفة عامة ، تسوقنا فى حياة هذه الشركة بقوة اعتقادية وهى أن السينما سلاح عصرى للتعليم لا غنى لمصر عن استخدامه فى ارشاد سواد الناس الى ما يراد ارشادهم اليه حتى تزول الأمية ، وفى تعليم الطلبة والتلاميذ فى مدارسهم أسوة بالدول الأجنبية الراقية ، وفى افادة الخاصة بتعريفهم أشياء قد لا يعرفونها قبل أن يروها فوق اللوحة البيضاء .

٥ — ونعمل أيضا لمقاومة الدعاية الفاسدة فى الخارج ضد مصر والمصريين ولاذاعة أحوالنا وشؤوننا المصرية فى صورها الحقيقية .

هذه هى أعمالنا التى نعمل لها ، أو هذه هى أغراضنا التى نسعى اليها حدثناكم فيها طويلا لأننا أردنا أن تعرفوها طمعا فى أن نحظى بتعضيدكم الأدبى فيها

٧ — الشركة تخدم المصلحة العامة

أما جوابنا على سؤالنا الآخر الخاص بطريقة انتفاعنا بما نصنع من أشرطة . فهو أننا لا نصنع أشرطة لنتاجر بها تجارة الأجانب فى الأشرطة المصنوعة فى الخارج . انما نحن أنشأنا شركتنا ونصنع أشرطتنا لأداء خدمة عامة هى المعاونة فى بث المعلومات النافعة وأداء وظيفة متواضعة فى التعليم بطريقة السينما الحديثة التى تتمم طرائق التعليم القديمة المعروفة .

ونحن فى عملنا هذا مسوقون باعتبارات عامة فى المصلحة العــامة تجعل شركتنا بالاسم شركة مساهمة تجارية وبالفعل شركة من الشركات القومية التى تؤدى خدمات عامة ليس من خصائص الدولة أن تقوم بها مباشرة . ولهذا فاننا فى عملنا لا ننظر الى الربح ولكننا لا نريد ، كشركة مساهمة مصرية ، أن نعيش بخسارة . لأن الشركة التى تؤدى وظيفتها بخسارة لا تستطيع أن تعيش طويلا .

لا نقصد الى الربح فى ذاته ولكن ان جاءنا ربح فانما يجيئنا فى حدود معتدلة للغاية . ومهما جاءنا من ربح فالغاية العامة مقــدمة على ربح الشركة الخاص .

وأظن أن حضراتكم تقدرون هذه العوامل قدرها ، وتقدرون فائدة شركتنا فى الأعمال التى قامت بها حتى الآن من البيان الذى قدمناه ومن الأشرطة التى ستعرض على حضراتكم فى الحال كما تقدرون فائدة العمل الهام الذى تنوى أن تقوم به هذه الشركة .

وانا نشكركم فى الختام ونؤكد لحضراتكم أن أكبر سرور لنا هو أن نشعر بأنكم تشاطروننا الاحساس بقوة السينما فى العالم وبأنكم معنا فى طريقة استخدامها فى مصر وفق البرنامج الذى بسطناه أمام حضراتكم والذى دفعنا الى تصوره والشروع فى تنفيذه رغبتنا الصادقة فى نفع المصريين ونفع الوطن بهذه القــوة العصرية والسلام على حضراتكم أجمعين .

خطبـــة محمد طلعت حرب باشا

فى الاحتفال بمرور خمسة عشر عاما على تأسيس بنك مصر

من ٧ مايو ١٩٢٠ الى ٧ مايو ١٩٣٥

بســـم الله الرحمن الرحيم

سيداتى :

سادتى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فاننا نشكركم جزيل الشكر على تشريفكم هذا المكان للاحتفال بهذا العيد المجيد من أعياد بنك مصر المباركة باذن الله .

ففى مثل هذا اليوم السابع من شهر مايو سنة ١٩٢٠ — بَشَّرَ الناس بميلاد بنك مصر وأضيف الى تاريخ النهضة المصرية ، صفحة جديدة لتسجيل هذا الحادث التاريخى السعيد .

وها نحن أولاء قد اجتمعنا اليوم لنحتفل بمرور خمسة عشر عاما على « بنك مصر » بل على قيام هذه الأمنية التى أصبحت حقيقة واقعة ، والتى كانت تتردد من قديم بين الأمانى والأحلام .

ولسنا نحن الذين نحتفل هنا بهذا العيد فقط ، بل اننا لمتأكدون أن الأمة كلها فى كل مكان ، تشاركنا بقلوبها فى هذا الاحتفال .

ولا غرو ، فهذا العيد هو فى الحقيقة عيدها . وهذا المجد هو فى الواقع مجدها .

ومن أحق بالعيد ، أيها السادة ، من صاحب العيد .. ؟ .

* * *

سادتى :

ان خمسة عشر عاما ، تمر تباعا ، على بنـك صميم فى مصريته ، لم يألف المصريون مثله من قبل — لعمر ليس بالقليل .

بل ان مرور هذا الزمن ، على عمل ما دليل حى على قوة هذا العمل ومتانته ، وبرهان ساطع على ثباته وحيويته ، بل وضرورته .. !

وبنك مصر الذى أنشىء للمصريين جميعا ، ولخدمة المصريين جميعا ، قد برهن طوال حياته على أنه عمل نافع ثابت الدعائم متين الأساس . وبرهن أيضا على أنه قوة مصرية ، كانت كامنة فى القلوب والخواطر ، فأظهرتها الأمة بالعزيمة والثبات وانكار الذات .

وبرهن كذلك على أنه ضرورة لم يكن من وجودها بد لاشباع حاجة كانت تحس بها الأمة ، ولم يكن عنها محيد ، لتصوير الناحية الاقتصادية ، بعد أن ظلت صدرا من الزمان ، عاطلة عن التصوير والبيان .

وان أمتنا التى عملت قديما للخلود ، وكتب لها البقاء فى سجل الأبد ، وتاريخ الانسانية طفل وليد ، .. أمتنا هذه ، ليس كثيرا عليها أن تحفظ على مر الدهور وتعاقب العصور ، هذا البنك ، الذى ولد ، ودرج ، وشب فى حجر نهضتها المباركة ، لتحتفل بأعياده المختلفة عيدا بعد عيد ، وليكون أبد الحياة مثابة للناس وأمنا يوالونه بالعطف ، والرعاية ، والاقبال ، والتأييـد . ويواليهم دائما بالخدمة الصادقة ، والنصيحة الخالصة ، ما استطاع الى ذلك سبيلا .. !

أيها السادة :

كان تأسيس بنك مصر سنة ١٩٢٠ مفاجأة أدهشت الجميع . وأقبل بعضهم على بعض — من فرط ما دهشوا — يتساءلون عن مستقبل هذا المشروع . وعن كفاية الذين يتولون أموره ، ويهيمنون على شئونه . وعما اذا كان من المستطاع استعمال لغة البلاد فى أعماله ، أو أن يجد حاجته من أبناء الأمة الذين يستطيعون أن يحملوا أعباءه بسهولة . وعن مدى تأثيره فى الناحية الاقتصادية المصرية . وعن مبلغ حظه من التوفيق فى انشاء فروعه فى الداخل والخارج واتصاله مع أمثاله هنا وهناك .

وتلهف الناس فى كثير من الاهتمام على ما عسى أن يكون الرد على أمثال هذه الأسئلة . فما كان جواب البنك الا أن قال : —

« هاؤم اقرأوا كتابيه . ثم احكموا بالعدل والقسطاس المستقيم .. »

* * *

ونحن اذ نتحدث بنعمة الله علينا ، لا نرى أبلغ فى التدليل على توفيق الله الذى والى به البنك والقائمين بأمره ، خلال هذه الفترة السعيدة من حياته — الا أن نعرض على مسامعكم ما كان المؤسسون قد ارتضوه وأقروه برنامجا للبنك منذ سنة ١٩٢٠ .

جاء فى برنامج البنك « أنه يعمل كل ما يعمله بنك تجارى مثله لا فرق فيمن يعامله بين أن يكون مصريا أو غير مصرى فالمصرية لم تشترط الا فى رأس المال للأسباب التى أوضحناها ، أما فيما عدا ذلك فأبوابه مفتوحة لكل عميل » .

* * *

« وأن فى البلاد أموالا كثيرة مخزونة ومعطلة وظيفتها فى الأصل التداول بين الناس ولها فى كل حركة بركة ، وفى كل دورة ربح لرابح .

ففى خزنها وقوف هذه الحركة وضياع لهذا الربح والفائدة التى تعود على البلاد من زيادة أرباح بنيها فضلا عن تعرض هذا المال للضياع بالسرقة أو الحريق أو ما أشبه » .

* * *

« وفى البلاد ودائع وأمانات كثيرة مستثمر معظمها فى بلاد غير البلاد لو استثمرت هذه وتلك فى الشئون المصرية وسوعدت بهما التجارة والصناعة والزراعة المصرية لزادت الثروة المصرية أضعافا مضاعفة ولكان ذلك عاملا قويا على اصلاح حالنا الاقتصادية . وايجاد الكفاءة المالية التى هى الأساس المتين للرقى المطلوب » .

* * *

وأن البنك « سيشجع المشروعات الاقتصادية المختلفة التى تعود عليه وعلى البلاد بالربح العظيم ويساعد على ايجاد الشركات المالية والتجارية والصناعية والزراعية وشركات النقل بالبر والبحر وشركات التأمين بأنواعها ويتعهدها حتى تنمو وتقوى ويشتد ساعدها . وبالجملة يعمل على أن يكون لمصر صوت مسموع فى شئونها المالية ويدافع عن مصالحها كما تدافع البنوك عن مصالح بلادها » .

* * *

« وسيؤدى بنك مصر لجميع عملائه كل الخدمات المالية . وسيعمل بالاتحاد مع حضرات التجار على تنظيم الحالة التجارية وانشاء الغرف التجارية والنقابات والشركات التعاونية وغيرها للدفاع عن مصالح أعضائها ودرس أنجع الطرق لترقية شئونهم » .

* * *

« وسيعمل على بث روح العمل والتعاون والتضامن والنظام فى الشبيبة وانماء ملكة الاقتصاد والتجارة فيهم والحث على وضع أساس

التربية الاقتصادية العملية فى البلاد وجعـل تعليم الحساب والنظام الحسابى أساسا فى مناهج التعليم فيها » .

هذه خلاصة برنامج البنك .

فهل قام بنك مصر بجميع ما وعدكم به فى مدى الخمسة عشر عاما الماضـيـة ؟

اننا نترك لحضراتكم وحضرات عملاء البنك الجواب على ذلك . ونظن أنه لا يخرج عن أن بنك مصر قد أبلغ الرسالة وقام بواجبه خير قيام بقدر ما استطاع .

ولا نذهب بعيدا فأمامكم تقارير البنك السنوية التى أحاطت بكل الأرقام والاحصاءات الدالة على مدى تقدم البنك ومبلغ ما قام به من خدمات للزراعة والصناعة والتجارة والتعاون .

ومن هذه التقارير يتضح لكم أن بنك مصر أصبح يحتل المكان الأول بين البنوك التى ترد باسمها الأقطان فى الاسكندرية . كما أصبح الأول — بعد البنك الأهلى المصرى — بالنسبة لمقدار الودائع والأمانات .

ومع ذلك فها نحن أولاء نتقدم ببيان ماتحقق منه بالفعل ، فهو محور الحساب بيننا وبينكم . أو هو فى الحقيقة ، وفى لغة البنوك (جانب منه) من هذا الحساب . أو .. الأصول التى تكون هذا الحساب .

وأحب شىء الينا واليكم ، بلا شك ، .. مراعاة الأصول .. !

* * *

رأس المال والودائع

بدأ بنك مصر صغيرا ، كما يبدأ كل شيء .

فقام فى عام ١٩٢٠ برأس مال متواضع قدره ثمانون ألف جنيه .

ثم سجلنا مغتبطين ، فى ٢٦ يناير سنة ١٩٢٥ وصول رأس المال الى نصف مليون جنيه . كما سجلنا مغتبطين أيضا ، فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٧ بلوغه المليون الكامل .

وقد بلغ عدد المساهمين فى البنك ٩٣٥٦ مساهما فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٤ بعد أن كان ١٢٦ مساهما فى السنة الأولى .

وبلغت قيمة الأرباح التى وزعت للمساهمين فى مدى الخمسة عشر عاما ٨١٤٩١٦ جنيها خص السهم الواحد منها منذ سنة ١٩٢٠ مبلغ ٤ جنيه و ٤٣٠ مليم أى بنسبة ١١٠٪ من قيمة السهم الاسمية وهى أربعة جنيهات .

هذا عدا احتياطات البنك المقتطعة من أرباحه وقد بلغت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٤ كما يأتى : —

جنيه مصرى	جنيه مصرى	
	٣٧٥٧٣٢	احتياطى قانونى
	١٨٠٠٠٠	احتياطى فوق العادة
	٢٣٥٠٠٠	المال المخصص لتأسيس وإنماء الشركات الصناعية والتجارية
٧٩٠٧٣٢		

خلاف مبلغ ٥٠٦٣٢ قيمة المجموع المرحل من الأرباح للسنوات المقبلة .

واذا أردنا تقدير رأس مال البنك على حقيقته ، يجب ألا نغفل شهرة البنك فى مصر وغيرها . ومقدار تأثيره فى المحيط المصرى المالى . وقيمة كلمته المسموعة فى كل مكان . وعظم الثقة التى منحتها له الأمة ، حكومة وشعبا . وكذلك رضا الجميع عن أعماله وجهوده المختلفة — فان كل أولئك له قيمته ، وله تأثيره ، وله وزنه ، عند ضبط رأس مال البنك على وجهه الصحيح .

واذا فلا يصح أن نعتبر رأس المال مليونا واحدا من الجنيهات وهو فى الحقيقة أضعاف مضاعفة .

انه يربو فى غير مبالغة على عشرات الملايين .. !

* * *

أما الودائع فقد كان أمرها ملحوظا بعناية عند انشاء البنك . وكان الاكثار منها هو اعتمادنا فى تحقيق ما نصبو اليه من اصلاح اقتصادى شامل .

ونحن نحمد الله على أن الودائع قد انهالت على البنك من جانب الأفراد ، ثم من جانب الحكومة لحسابها ولحساب مجالس المديريات والمجالس البلدية والمحلية والحسبية ولحساب السلف الصناعية والجمعيات التعاونية الزراعية .

وبعد أن كانت هذه الودائع فى نهاية سنة ١٩٢٠ مبلغ ٢٠٠ر٩٦٠ جنيها أطردت الزيادة سنة بعد أخرى حتى بلغت عام ١٩٢٧ أكثر من خمسة ملايين ونصف مليون من الجنيهات فى نفس الوقت الذى بلغ فيه رأس المال مليونا واحدا من الجنيهات .

واستمرت الودائع تزداد وتزداد ، ثم تنهال وتنهال تحمل معها ثقة أصحابها من الأفراد والهيئات ، فى ادارة البنك وأنظمته واتجاه —

طوال الخمسة عشر عاما الماضية حتى لقد بلغت فى نهاية عام ١٩٣٤ أكثر من ١٠ ملايين جنيه بخلاف ودائع صندوق التوفير التى بلغت فى نهاية السنة المذكورة مبلغ ٨١٠٫٠٠٠ جنيه .

ونحن لا نشك ، وأنتم كذلك ، فى أن معانى الثقة كلها ، والثقة العظمى الغالية ، تظهر بوضوح وجلاء بين هذه الأرقام .

* * *

قلنا ان بنك مصر بدأ صغيرا كما يبدأ كل شىء . ولكنه ما زال يتدرج فى النمو والاتساع رويدا رويدا وانتشرت فروعه فى الأقاليم حتى زاد عددها عن العشرين فرعا ومكتبا وحتى امتلك داره الحالية ودورا وشونا أخرى فى الاسكندرية والأقاليم .

كان البنك ، أول نشأته ، قد استأجر داره الأولى بشارع الشيخ أبى السباع . وما زلنا نوسعها تبعا لزحام الأعمال وازدياد الموظفين باستئجار بعض المحال المجاورة حتى رأينا أن لابد من تهيئة مكان آخر يكون أوسع وأرحب . فاشترينا قطعة أرض بشارع عماد الدين مساحتها ١٥٣٧ مترا مربعا وبنينا فوقها دارا لأعمال البنك وبعض الشركات ، مؤلفة من ست طبقات انتقلنا اليها فى ٥ يونيه سنة ١٩٢٧ بعد أن احتوت الدار الأولى طفولة البنك سبعة أعوام سويا .

ثم لاحظنا أن اتساع الأعمال يسبق بل يفوق ما يتوقعه الظن ويطوف بالخيال فرأينا أن نأخذ عدتنا ونحتاط لحاجة الحاضر القريب والمستقبل البعيد فتعاقدنا مع وزارة الأوقاف على استبدال الأرض الواقعة خلف عمارة البنك والبالغة مساحتها ٢٦٤٨ مترا مربعا . وشرعنا فعلا ، ولم نزل فى تنفيذ الضرورى من التصميم الموضوع لتوسيع الدار — ذلك التوسيع الذى سيجعل مساحة الدار كلها حول فدان تقريبا والذى يدل على بركة العمل الصالح بلا جدال .

أعمـــال المصارف

ومهمة بنك مصر

أيها السادة :

تختلف أعمال المصارف باختلاف وجهات النظر عنـد مؤسسيها والقائمين بها .

فهناك بنوك اصدار البنكنوت . وبنوك الخصم والايداع . وبنوك الأعمال . والبنوك الزراعية . والبنوك الصناعية . والبنوك العقارية .. وهكذا ، لكل عمل من الأعمـال المالية الكبرى بنك خاص يقوم به . أو بتشجيعه . أو بالاشراف عليه .

والتخصص فى الأعمال لدى البنوك يأتى عادة بعد أن تفارق الأمة حالة البداءة الأولى . لأنه فى البداءة ، لا توجد أعمال ، من كل وجهة ، تكفى للتخصص . فكان بنك واحد يقوم بكل الأعمال . حتى اذا ارتقت نواحى الحياة فى الأمة ونضج شعورها بكل ما يهمها ، وتحقق لها فعلا كل مشروعاتها المالية والزراعية والصناعية والتجارية ، واتسعت دوائرها وتشعبت أطرافها — جاء دور تقسيم الأعمال على البنوك — التى تكون حينئذ قد كثرت وانتشرت — كل والعمل الذى يتفق مع الغرض الذى أسس له ..

وهناك بعض دول أوربا تفكر ، الآن فقط ، بنوكها الوطنية فى تقسيم الأعمال عليها .

وأنتم تعرفون ما هى دول أوربا من حيث رسوخ القدم فى الصناعة والتجارة .

ومصر كانت ولا تزال فى حالة بدائية . غشاها ما غشى من ليـل الظروف والمحن . وظلمات الجمود والركود ، فظلت واقفة فى أول

الشوط ، معصوبة العين ، لا تدرى أى طريق تسلك مع السالكين ، حتى سبقها السابقون وتركوها وحيدة فى ذيل المتأخرين .

ولقد هال « بنك مصر » بلا شك ، يوم بدأ حملته ، ألا يجد — فى الأرض أو فى السماء ،وفى البر أو البحر — أثرا لعمل مصرى صميم ، الا النادر ، يدرأ عن الأمة سخرية الساخرين ..

وكيف كان ميسورا أن يجد ذلك ، وبلاغ كل عمل رجال ورءوس أموال ؟ .

أما الرجال — رجال الأعمال — فان التعليم العام ظل بعيدا للأسف عن تخريج أمثالهم الا من وهبهم الله الاستعداد الفطرى لذلك . وأولئك قليـــل !

وأما المال ، فان أغنياءنا أيضا ظلوا منكمشين عن المجازفة بأموالهم فيما يهم البلاد .

كذلك ظل أبناؤنا محرومين من المران على أعمال البيوت المالية والشركات المختلفة الأجنبية ، بالرغم من كرم الضيافة التى سارت عليها بلادنا بكل سذاجة منذ عهد طويل .

فكان لزاما على بنك مصر أن يظهر فى الميدان . وأن يبدد هذا الظلام الذى اكتنف الأمة ، وأحاط بمرافقها من كل ناحية . وأن يعمل ، أولا ، على أن يستحوذ على « الثقة » وهى ملاك كل أمر ، تمنح ولا تغتصب . وأن يجتذب اليه فريقا من شباب البلد يربى فيهم الكفاية الشخصية . وملكة القدرة على القيام بأعماله الجديدة باللغـــة العربية التى كانوا يحسبونها عقبة فى سبيل البنك — حتى اذا هم أن يقف وحده على قدميه أخذ فى تحقيق مهمته الكبرى أو بالأحرى ، فى تنفيذ برنامجه القومى — وقد سبق تلخيصه — وهو يتكىء أولا وأخيرا على أن يقوم بكل شىء ، وأن يفعل للأمة كل شىء . وأن يسد ما استطاع النقص الظاهر فى مرافق

البلاد الاقتصادية المختلفة . وأن ينير الطريق ويفسح السبيل لاخوانه فى الوطنية . وأن يحمل الأمة على جناح السرعة لكى ينهض بها وأن يخطو واياها خطوات واسعة ليعوض عليها ما فاتها من الزمن سدى .. وهو اليوم يفخر بأنه انتهى من عامه الخامس عشر وبه من الشبان المصريين المتدربين ٦١٦ بعد أن بدأ فى مستهل أعماله بعشرين فقط .

* * *

نعم . أيها السادة ، لم نرض أن يكون بنك مصر ، مجرد بنك كالبنوك الأجنبية الكثيرة فى البلد . وهى بنوك تستوحى فى الغالب سياستها من أمهاتها فى الخارج .

ولقد رأى « بنك مصر » العبء الذى تركته هذه البنوك فادحا وثقيلا . ولكنه لم يتردد فى أن يحمله ، فحمله وحده بشجاعة وأمانة معتمدا على الله الذى يجزى النية الصالحة بما هى أهله ، والذى لا يضيع أجر من أحسن عملا ..

وسرعان ما لاحت للبنك تباشير النجاح ، وصادفه التوفيق . وطالعه الحظ الحسن . فثبت الله أقدامه . وعبد الطريق أمامه . والتفت لحاجات الأمة يصورها فى صور شركات مساهمة مصرية . واحدة اثر أخرى مستقلة عنه فى رأس المال وفى الادارة . تحمل جميعا اسم «مصر» برا بوعده ، ووفاء بعهده .

ولم يكن للبنك مفر من « الاسراع » فى تأسيس المشروعات الهامة الضرورية . لا سيما وعصرنا الحاضر عصر « سرعة » بكل ما يحتمل معنى هذه الكلمة .

وقد يكون هناك بعض الذين يخشون هذه « السرعة » التى جرى عليها البنك فى تأسيس مشروعاته ، ولكن أمثال هؤلاء لا يلبثون أن

يقتنعوا بأن استمرار تطفل الأمة على موائد غيرها يعرض كرامتها للتجريح الأليم .

لقد كان من الخير ، فيما نعتقد ، أن نسارع الى عمل شيء من صنع أيدينا ، وقد وفقنا الله فى ذلك . فكان لنا فى هذه الفترة القصيرة — فترة الخمسة عشر عاما — أن ركز البنك — فى السهل والجبل ، وفى الشرق والغرب ، وعلى الماء ومتن الهواء — علم البلاد .. يخفق تحت الشمس باسم بنك مصر وشركات مصر . بل باسم « مصر » كلها أو بعضها بعد أن طال احتجابه بين الظلام عهدا طويلا .

ومهما يكن من شيء فان « السرعة » التى قد يأخذها على البنك بعض الناس ، قد آتت أكلها باذن ربها ، واتضح من نتائجها الكبرى أن البنك قد نجح نجاحا لا شك فيه ، حتى ليمكننا أن نقرر باطمئنان أنه لم يعش فقط هذه الخمسة عشر عاما التى نحتفل اليوم بمرورها ، بل انه قد عاش فى الحقيقة وعلى أقل تقدير خمسين سنة ، اذا قدرنا ما قام به من الأعمال .. !

وهذه شركات مصر ماثلة أمامكم نستميحكم أن نسرد أسماءها عليكم — وان كانت هذه الأسماء قد أصبحت من الشهرة والذيوع بحيث تجرى على كل لسان وهى :

عدد	الشركة	عدد	الشركة
١	مطبعة مصر	٨	شركة مصر لمصايد الأسماك
٢	الشركة المصرية لصناعة الورق	٩	« « للكتان
٣	شركة مصر لحليج الأقطان	١٠	« « لتصدير الأقطان
٤	« « للنقل والملاحة	١١	« « للطيران
٥	« « للتمثيل والسينما	١٢	« « لعموم التأمينات
٦	« « لنسج الحرير	١٣	« « للملاحة البحرية
٧	« « للغزل والنسج	١٤	« « للسياحة

وقبل أن نتكلم على هذه الشركات — كل على حدة — نبادر فنرجو أن يرسخ فى الأذهان ، أن البنك لم يفاجىء مساهميه ومودعى أموالهم فيه ، بتأسيس هذه الشركات والاشتراك فى رءوس أموالها وتعهدها بالمال والاشراف على ادارتها وأعمالها حتى تنمو وتترعرع ، ويشتد ساعدها ، وتؤتى أكلها ثمرا جنيا . بل ان البنك قد فصل كل ذلك فى خطاب افتتاحه سنة ١٩٢٠ ووعد بذلك كله . ولقد صدق البنك وعده وبرّبه ، ولا يزال كذلك حتى يستكمل أقصى حاجات البلاد ويحقق باذن الله كل أمانيها .

والمساهمون الذين اشتركوا فى رأس مال البنك ، أو أودعوا أموالهم فيه يعلمون أن أموالهم تقوم بدور هام تحت اشراف مصرفهم فى احياء وتنمية وتأسيس المشروعات التى تهم الأمة . وانهم لابد منتظرون جنى الربح دون أن يتعجلوه قبل أوانه .

* * *

ونعود الى تأسيس الشركات — فنذكر أيضا لحضراتكم بكل سرور أن تجربة اللغة العربية — وهى لغة الدولة الرسمية ، بل ولغة كتاب الله العزيز الحكيم — قد نجحت فيها نجاحا باهرا كما نجحت تماما فى أعمال البنك .

وأن تجربة جعل الأسهم ، فى البنك والشركات ، اسمية لا يملكها الا مصريون — قد ظهر أثرها الطيب ونفعها الأكيد .

ويمكننا أن نقول ان هاتين التجربتين لم يكن العمل بهما الا كالوحى أو الالهام . وهو ما نرفع من أجله أكف الضراعة لله حمدا وشكرا .

وبهذه المناسبة يسرنا أن نذكر أيضا — والشىء بالشىء يذكر كما يقال — أن تقريرا قد قدم لنا — والبنك يحبو فى خطوات الحول الثانى

من عمره — يذكر فيه صاحبه ، وقد هاله بطء الاكتتاب فى رأس المال وبطء ورود الودائع — أن اللغة العربية قد فشلت فى احتمال أعمال البنك . وأننا اذا لم نستعمل لغة أجنبية ، وموظفين أجانب ، واذا لم نجعل الأسهم ملكا لحاملها يتداولها المصريون وغير المصريين — لايجاد الثقة — فلا مناص من مواجهة الهزيمة فى وقت قريب .. !

وقد شاء الله أن نضرب بهذا التقرير اليائس عرض الحائط ، وأن نهمله فلا نقبله ولا نعمل به — ذلك لأن الله يحب مصر حقا ، فأراد أن يكون فيها بنك خالص لمصر والمصريين والله فعال لما يريد .. !

وانظروا ، أيها السادة ، الى كيان البنك الآن ، ووازنوا بينه وبين كيانه لو عملنا بالتقرير الذى حدثناكم عنه .

ألا يكون اسمه — لو بقى — على غير مسمى ..؟؟

وهل كانت تبقى آثاره التى تشهدونها هنا وهناك ..؟؟

وهل كان هناك دافع لتأسيس بنك يعمل فقط نفس عمل البنوك الموجودة بيننا ؟ ويسير سيرها فينا مبنى ومعنى ؟

* * *

وفى خطبة افتتاح البنك سنة ١٩٢٠ الرد على هذا فقد جاء فيها :

نظن أنه اذا كان الغرض فقط هو جمع مال المصريين لعمل بنك بدون أخذ الحيطة اللازمة لعدم تحويل هذا البنك الى بنك أجنبى يعمل كباقى البنوك ما وجدنا واحدا من المؤسسين يوافق على ذلك أو يرى ضرورة لتأسيس بنك كهذا . انما يعوز مصر حقيقة بنك برأس مال أهلى يعمل لمصر ولمصلحة مصر . ولضمان ذلك لم يجد من فكروا فى تأسيس البنك سوى جعل الأسهم اسمية واشتراط بقائها بيد مصرية . ولهم

أسوة حسنة بما يحصل فى البلاد الأخرى فى كل الأحوال التى يريدون ألا يتسلط فيها الأجنبى على مرافق البلاد الحيوية .

وبعد ، فمما ساعد البنك على تأسيس شركات مصر أنه كان يقتطع من أرباحه السنوية جزءا ، حتى اذ تكون رصيد معقول ، اشترك مع الغيورين من المصريين الذين يقرضون بلادهم قرضا حسنا فى تأسيس شركة من الشركات .

ففى سنة ١٩٢٢ بدأ البنك بتأسيس « مطبعة مصر » . لأنه رأى ، أول ما رأى ، أنه ينفق آلاف الجنيهات فى كثير من الأدوات الكتابية كالدفاتر والمحابر والمطبوعات ، وخاصة طبع الأسهم والسندات فى مكان أمين ، وغيرها . وأنه وشركاته ، فى المستقبل ، سينفقون أضعاف ما أنفقوا فى الماضى فى هذا السبيل .

وأن الذى يربح من وراء ذلك . ليسوا أبناء مصر .. فكانت المطبعة ، مع المكتبة التى أسسناها بجوارها ، هى الوسيلة التى ابتغيناها لتسد هذا الفراغ الكبير وتحفظ فى البلد هذه المبالغ الكبيرة العظيمة .

وكان من وراء ذلك أيضا أن أحدثت المطبعة فى فن الطباعة كثيرا من الرقى والتحسين حتى أصبحت تضارع أمهات المطابع فى أرقى البلاد .

ثم إن المطبعة نفسها حفزت القائمين بأمر البنك أن يفكروا فى تأسيس الشركة المساهمة المصرية لصناعة الورق لتكون لها مصدرا كبيرا من مصادر التغذية . وبعد أن استحضر الخبراء وقتل المشروع بحثا ودرسا تقرر تأجيله الى فرصة أخرى حيث ان الأبحاث المتعددة دلت على أنه يحتاج الى رأس مال كبير فرؤى أن ينصرف المجهود الى اتمام بقية الأعمال الصناعية القائمة . وفعلا رأت الشركة تخفيض رأس مالها الى ٢٠٠٠ جنيه مصرى لتبقى قائمة قانونا . أما باقى رأس المال فمنعا لتعطيله

رد الى أصحابه . وذلك لأن شركة أخرى قد تأسست حديثا لمثل غرض شركتنا فأحببنا أن نفسح لها الطريق حتى يعلم الجميع أننا لا نبتغى أبدا أن نحتكر القيام بالمشروعات التى تحتاج اليها البلاد .

* * *

ثم اتجهنا الى ناحية أخرى . وهى الناحية التى تتصل بأعظم محصول رئيسى ترتكن عليه البلاد — وهو القطن .

فأسسنا فى سنة ١٩٢٤ شركة مصر لحليج الأقطان .

وكان وابور حليج مغاغة هو النواة الأولى لتأسيس شركة مصر لحليج الأقطان التى أصبح لها مقام معلوم بين الشركات المماثلة .

وبارك الله فى هذه النواة . فتفرع منها ثمانية محالج فى أهم مدن الوجهين القبلى والبحرى تحلج من القطن سنويا أكثر من عشر ١/١٠ المحصول المصرى أو حول مليون قنطار وهى جميعا مجهزة بأحدث العدد والآلات .

* * *

ثم تأسست فى سنة ١٩٢٥ شركة مصر للنقل والملاحة ، وذلك بعد أن رأينا « القطن » قد حلج ، وأصبح فى حاجة ، هو وبذرته ، الى النقل للأسواق ، وبعد أن سمعنا شكوى الجميع تتصاعد من غلاء أجور النقل بالسكك الحديدية .

وقد تكاثر والحمد لله عدد عملاء هذه الشركة ، نظرا لما تقوم به لحسابهم من أعمال التخليص والنقل والتأمين بأجور معتدلة على أسطولها المكون الآن من ٧٣ قطعة على أحدث طراز .

ولقد نجحت شركتنا نجاحا طيبا لولا سياسة عتيقة كان قد اتبعها بعض ولاة ادارة السكك الحديدية المصرية . وهى سياسة لا تتمشى

للأسف مع سنة التقدم ، بل ترمى الى قتل منافسيها بأسلحة لا قبل لهم بها ، بل وترمى أيضا ، فيما يظهر ، الى تصفية الجو من مزاحميها حتى اذا خلا لها عادت سيرتها الأولى من التحكم ورفع الأجور .. ولكن هذه السياسة قد تغيرت نوعا ما بسياسة أقرب للمعقول ، وان كانت هى الأخرى سياسة وقتية قد تتغير بتغير الأشخاص . والمصلحة العامة تريد سياسة دائمة توافق روح العصر ، وتتمشى مع مطالب الاقتصاد القومى الذى يستلزم حتما أن تعيش وسائل النقل البرى والنهرى جميعا .

وليس عدلا أن تتوفر الحياة فى مسائل النقل لمصدر واحد ، قد أصبح فى الحقيقة مصدرا عتيقا ، دون أن توهب هذه الحيـاة أيضا للوسائل الحديثة التى كانت عاملا مهما فى تخفيض أجور النقل والتى خلقتها الحضارة ، وابتكرتها المدنية لتقدم العمران ورفاهية الانسانية .

* * *

ثم كان تأسيس شركة مصر للتمثيل والسينما لتكون من الدعايات القوية عن شركاتنا ومنتجاتها فتربط بعضها ببعض وتكون أيضا وسيلة حسنة من وسائل الاذاعة عن مفاخر بلادنا ومظاهر تقدمها ومقدار نشاطها الانسانى فى كل نواحى الحياة مما لاذاعته تأثير مفيد ونفع عظيم .

ولا يخفى عليكم أن قوة السينما ، وخاصة بعد أن أصبحت ناطقة ، تفوق فى الدعاية والاذاعة والاعلان أية قوة أخرى .

وتأثير السينما ، فى هذه الناحية ، تأثير ناجع سريع . وقد فطنت الشركة لذلك . فأنشأت لها « استوديو » مزودا بأحدث الآلات والأجهزة وسيكون الأول من نوعه فى بلاد الشرق من حيث العظمة والفخامة وجلال الفن .

وقد زاره أخيرا أحد الخبراء الأجانب فأعجب به أيما اعجاب ، وشهد

أن مدينة السينما (هوليوود) على عظمتها وفخامة منشآتها السينمائية لا تحوى « استوديو » واحدا كهذا .

كما سيكون لهذا الاستديو نخبة صالحة من الشبان الذين أوفدتهم الشركة الى مناهل أوربا ليتزودوا من نبع هذا الفن الحديث .

* * *

ثم تأسست شركة مصر لنسج الحرير (عبد الفتاح اللوزى بك سابقا) وهى أول شركة فى مصر تقوم بنسج الحرير الطبيعى نسجا ميكانيكيا بدمياط ذات الشهرة القديمة بنسج الحرير .

ولعلكم شاهدتم وجربتم منسوجاتها البديعة المتينة ، وحازت منكم جميل الرضاء والتقدير .

وبعون الله تعالى ستتم مسألة حل الحرير المصرى فيتم بذلك اتمام حلقة كانت تنشدها الشركة وتعمل لها جهدها منذ بعيد .

وقد انتهت ، والحمد لله ، التجاريب العديدة التى لم يكن للشركة بد منها ، ودخلت الآن فى دور الاستغلال العادى الصحيح .

وقد أنشأت الشركة مصبغة كبرى فى حلوان ، مجهزة بأحدث العدد والآلات ، وهى تقوم بصبغ وتلوين الأقمشة الحريرية التى تنسجها بأصباغ وألوان زاهية وبديعة وثابتة .

* * *

بعد ذلك :

كان حريا بالبنك أن يفكر ويدرس مسألة غزل القطن ونسجه . فبحث هذا الموضوع من جميع نواحيه ، واستقدم من أجله الخبراء العالميين ، ووازن بين تقارير بعضهم البعض حتى اذا استيقن من النجاح أعلن للناس تأسيس شركة مصر لغزل ونسج القطن التى أصبح اسمها

« شركة مصر للغزل والنسج » لأنها تغزل وتنسج ، بجانب القطن — الكتان ، وقريبا الصوف .

ووقع الاختيار على المحلة الكبرى لاقامة مصانع الشركة فيها بالنسبة لشهرتها القديمة فى النسج اليدوى . ولمزايا جوها ووفرة اليد العاملة .

وقد كان معقولا — فى البلد الذى يزرع قطنا لا مثيل له فى الدنيا ، والذى يعيش على حسابه منذ عشرات السنين — قد كان معقولا أن يؤسس فى هذا البلد ، شركة للغزل والنسج لكى نبقى ، ولو جزءا يسيرا من محصوله الرئيسى ، نغزله وننسجه أثوابا تستر الجسد ، وتحبس عنا قالة السوء ، وتدفع عنا سخرية الساخرين .

ولقد نجحت هذه الشركة ، والحمد لله ، نجاحا فاق كل مأمول . حتى لقد شغلت المساحة التى قامت وتقوم عليها مصانعها أكثر من مائة فدان .

والشركة تقوم الآن بتوسيعات هائلة تضم اليها بعض المصانع حتى تكون فى النهاية ضاحية صناعية فيها كل العناصر التى تساعد على تقليل نفقات الانتاج ، بعكس ما لو كان كل مصنع قائما فى جهة بعيدة عن المصنع الآخر مستقلا عنه كل الاستقلال .

وليس فى مصر ، ولا فى غير مصر ، شركة تحوى هـذه المصانع مجتمعة فى أرض واحدة وتحت ادارة واحدة تشرف على ١٢٠٠٠ اثنى عشر ألف عامل يشتغلون مناوبة بالليل والنهار ، وقد يصلون الى عشرين ألف قريبا باذن الله .

وقد افتتحنا مصنع غزل ونسج القطن افتتاحا رسميا فى يوم ٢٣ ابريل سنة ١٩٣١ . وكان ذلك اليوم من أسعد أيام شركتنا وأسعد أيام حياتها .

أما مصانع الشركة فهى :

١ — مصنع غزل القطن .

٢ — مصنع نسج القطن .

٣ — مصنع غزل الكتان .

٤ — مصنع نسج الكتان .

٥ — مصنع الصباغة والتبييض .

٦ — مصنع الطباعة .

٧ — مصنع القطن الطبى .

٨ — مصنع الدوبارة والأحبال .

٩ — مصنع الجورابات والفانلات .

١٠ — مصنع الدانتلا والناموسيات .

١١ — مصنع البطاطين .

١٢ — مصنع الأصواف والأجواخ .

وأجمع كل من رأى مصانع المحلة على أنها أكبر وأفخم مصانع فى العالم .

قال المسيو تونيس كبير وزراء بلجيكا السابق « لو شيدت المصانع بأوروبا مثل ما شيدت هذه المصانع بمصر لوفروا على أنفسهم كثيرا من القوانين الاجتماعية التى اضطروا الى سنها ابتغاء راحة العمال .

وقد استهلكت الشركة جانبا من القطن المصرى يزيد مقداره سنة بعد أخرى فبعد أن كان ٢٢ ألف قنطار فى سنة ١٩٣١ اذا به قد بلغ ١٥٢ ألف قنطار فى سنة ١٩٣٤ وسيصل ان شاء الله تعالى الى حوالى نصف مليون قنطار فى سنة ١٩٣٧ وما بعدها .

وكان انتاج الشركة كما يأتى : —

نوع الإنتاج	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣	١٩٣٤
إنتاج الغزل بالرطل	١٧١٥٠٠٠	٤٧٩٤٠٠٠	٨٦٨٢٠٠٠	١٢٦٧٧٨٩٠
إنتاج النسيج بالياردة	٤٨١١٠٠٠	١١٥٢٩٠٠٠	١٨٠١٢٠٠٠	٢٥٠٧٠٦١٢
إنتاج النسيج بالثوب	١٤٨٣٢٤	٣٩٩١٤٨	٦٢٠٨٠١	٨٧٧٦١٣

ولقد كانوا يقولون ، من باب تثبيط الهمم ، ان الجو فى مصر لا يلائم عملية الغزل وأن المياه فى مصر لا تساعد على اتقان الصباغة والتبييض ، ولكننا تغلبنا على ذلك ووفقنا توفيقا كبيرا .

أما الطباعة . فقد كانت فى الشركة ، أول الأمر ، بالطريقة اليدوية . ولكننا أعددنا الآلات اللازمة للطبع حتى يمكن أن يكون الانتاج عظيما .

وكثيرون الآن من عامة المصريين — وخاصتهم — يلبسون لباسهم الداخلى والخارجى من صنع شركتنا ، وذلك للمتانة المتوفرة فى أقمشة الشركة والكل ينتظر اليوم الذى يكفى فيه الانتاج حاجة الجميع . وما ذلك اليوم ان شاء الله تعالى ببعيد .

واذا كنا نطلب المعونة لتشجيع شركتكم فاننا نطلبها لحماية الجمهور من الوقوع فى شرك الرخص المزيف الذى يجره اليه جهله التمييز بين الطيب والخبيث — ولحماية الشركة من المنافسة غير المشروعة التى تلاقيها ممن يعملون على قتل هذه الصناعة الناشئة قبل أن تشب وتترعرع .

وان شاء الله ، بعد اتمام التوسيعات ، سيهنىء بعضنا بعضا بارتدائنا

بذلات من الصوف صنع شركة مصر ، توفر علينا نقودنا ، وأيضا ، كرامتنا . وتزدهى فيها الوطنية الحقة والرجولة الصادقة .

ثم تأسست فى سنة ١٩٢٧ ، شركة مصر لمصايد الأسماك . وغرضها القيام بتنظيم الصيد من البحار . والبحيرات المصرية . والنيل . وبتسهيل تناول السمك على الطبقة الفقيرة وعدم قصره على الطبقات الموسرة فقط .

وكان لابد لهذه الشركة من دراسات وافية وتجاريب عديدة ، قبل أن تبلغ دور الاستغلال العادى الرابح الذى دخلت الآن ..

ويلحق بهذه الشركة مصنع صناعة الأزرار بالسويس .

وها هى ذى منتجاته الجميلة من مختلف الأزرار تملأ السوق وتجد الاقبال العظيم .

* * *

ثم تأسست شركة مصر للكتان للقيام بعمليات الصناعة الكتانية من زراعة الكتان قشا وتعطينه ونفضه وغزله ونسجه وتجهيزه النهائى .

وقد ساعد وجود هذه الشركة على احياء هذه الصناعة الهامة التى كان لها الصيت العالى فى البلاد المصرية ، وكادت تندثر لولا لطف الله وعنايته .

وقد رؤى الحاق غزل ونسج الكتان بمصانع المحلة الكبرى ، وقصر شركة مصر للكتان على تجهيزه وبيعه شعرا الى شركة مصر للغزل والنسج والى أوربا .

وأصبحت شركة مصر للكتان من هذه الوجهة أشبه بشركة مصر لحليج الأقطان بالنسبة لغزل القطن ونسجه .

* * *

ثم أسسنا ، بعد ذلك « شركة مصر لتصدير الأقطان » لزيادة تنظيم جهود المصريين فى تصدير الأقطان الى الخارج بالاشتراك مع جماعة المسيو هوجو لندمان — مصدر الأقطان المعروف — التى مارست هذا العمل مدة طويلة وأصبحت لها به خبرة واسعة ، بعد أن رأينا حسن استعداد هذه الجماعة لتدريب المصريين فى هذا الميدان واقتناعها بحق المصرى فى مثل هذه الأعمال وقبولها تقديم صالح البلاد المصرية على أى صالح سواه .

* * *

ثم أسسنا شركة مصر للطيران بالاشتراك مع جماعة من نخبة الانجليز طابقت مشاربهم مشاربنا فيما تصدينا اليه من خدمة البـــلاد . وكان تأسيسها جديرا ببنك مصر الذى عنى بتنظيم شركات النقل النهرى والنقل البحرى ..

ولم لا ، وجو بلادنا أبدع جو فى الوجود ، وصفاؤه الدائم يضرب به المثل ..

ولقد نجحت هذه الشركة .

وآية نجاحها أن نظمت خطوطا جوية بين مصر وفلسطين بمجرد أن انتهت من تنظيم خطوطها فى داخلية القطر . كما أنها ستنظم خطوطا للسودان والبلاد المجاورة .

وقد رأيتم الرحلات الجوية التى قام بها على وحداتها رجال بنك مصر الى الأراضى الحجازية المقدسة مما كان له أثر بليغ فى النفوس .

وكان للشركة أثر بارز فى تكوين بعض شباب مصر بانشاء مدرسة للطيران فى القاهرة والاسكندرية .

وأملنا كبير أن تلقى الشركة ممن يهمهم أمر هذا العمل الحديث فى

عالم النقل ، كل معونة وتشجيع حتى يمكنها الاستمرار فى عملها النافع وخدمتها العامة .

* * *

ثم تأسست شركة مصر لعموم التأمينات بالاشتراك مع شركتين من أقدم وأمتن شركات التأمين فى انكلترا وايطاليا للقيام بعمليات التأمين المختلفة سواء أكانت ضد الحريق ، أم الحوادث الطارئة ، أم السرقات ، أم ضد أخطار النقل فى البر والبحر والجو .

وغنى عن البيـان أن تأسيسها كان ضروريا للتأمين عـلى أعمال البنك وشركاته أيضا فضلا عن الخدمات التى تؤديها للأفراد .

وليس غريبا أن يختص هذه الشركة كل مصرى فيؤمن لديها على كل ما يهمه من الأنفس والثمرات بدل أن تتسرب أموالنا المصرية الى حيث لا نستطيع الاستفادة بها .

ومما يسرنا ذكره أن الشركة قد أصابت حظا كبيرا من النجاح وهى بعد لم تزل فى مستهل حياتها ، ذلك بأنها تسير على هدى من التوفيق بخطى سديدة وعلى أمل عظيم من رعاية الله .

ثم تأسست شركة مصر للملاحة البحرية . وأصبح لها ، فى مدى قصير ، أسطول متواضع مكون من الوحدات الآتية : —

الباخرة النيل:	وهى للسفر بين مصر وأوروبا	وحمولتها	١٣١٣٠ طن
زمزم :	لنقل الحجاج الى بيت الله الحرام	وحمولتها	١٤٩٠٠ طن
الكوثر :	لنقل الحجاج ومساعدة الباخرة النيل	وحمولتها	١١٨٠٠ طن
الفسطاط :	للتجارة بين مصر ومختلف بلاد العالم	وحمولتها	٨٢٥٠ طن
عرفات :	» » » » » »	وحمولتها	٧١٠٠ طن

وذلك خلاف بضعة مراكب أخرى تستعمل للنقل الساحلى وعمليات الانقاذ . ولا جدال فى أن شركة مصر للملاحة البحرية رسالة مصر الى الشرق والغرب وأن على ساريات بواخرها ارتفع العلم المصرى ، بل ارتفع اسم « مصر » ودوى فى مختلف الأقطار .

وحسبنا أن نذكر أن وجود « شركة مصر للملاحة البحرية » وتعهدها بنقل الحجاج قد ساعد كثيرا على تأدية هذه الفريضة الشرعية ، واستطاع الآن كل انسان الى الحج سبيلا ، كما ساعد كثيرا على ترقية مجموعة الحجاج بسبب توفير أسباب الراحة والرفاهية حتى خرج للحج من كان يقعده عنه ما يعرفه أو يسمعه عن المتاعب والمشقات ، كما عادت المجهودات التى قام بها رجال البنك فى رحلات متعددة الى البقاع المطهرة بأحسن الفوائد وأبدع الآثار على بلادنا وبلاد الحجاز .

وقد علمتم نبأ تلك الاعانة التى أقرها مجلس الوزراء للشركة فى بحر الشهر الماضى تقديرا لخدمات الشركة ولتمكينها من الاستمرار عليها مما نقدم الشكر الجزيل عليه ونغتبط به كل الاغتباط .

* * *

ثم كان ختام الشركات التى أسسناها شركة مصر للسياحة . وهى شركة كان وجودها ضروريا بالنسبة لأن بلادنا يهوى اليها أجناس مختلفة من جميع بلاد الدنيا . فكان حقيقا بنا أن نؤسس هذه الشركة لنتم بها حلقة هامة هى حلقة النقل . ولنسهل أيضا سياحة المصريين الى أوربا وغيرها . ولتكون هذه الشركة همزة وصل بين المسافرين وبين شركات النقل المصرية .

وقد وفقنا لتأسيس هـذه الشركة بالاشتراك مع شركة من أقدم شركات السياحة وأقواها فى العالم وهى شركة (Cox and King) .

* * *

أيها السادة :

لعلكم لاحظتم ، ونحن نسرد لكم شركات مصر ، أن هذه الشركات تكون حلقات متصلا بعضها ببعض دون أن يكون تأسيسها اعتباطا ..

فالمطبعة ، والمكتبة ، والشركة المساهمة لصناعة الورق — حلقة .

وللقطن حلقة ، تتمثل فى الحلج ، والنقل ، والتصدير ، والتأمين ، والغزل والنسج .

ويتصل بحلقة القطن أيضا حلقات الحرير والكتان .

ومن النقل تكونت حلقة بين النقل فى النهر ، والنقل فى البحر ، والنقل فى الجو .. كما اتصل بهذه الحلقة مسألة السياحة .

ومن اتصالنا بالبحر ، نشأت حلقة أخرى هى « حلقة السمك » وما خرج منها من صناعة أزرار الصدف .

ثم الحلقة التى تربط جميع الحلقات ، وتذيع عنها كل ما تهم اذاعته . ونعنى بها حلقة السينما والدعاية بها .

ثم ان لهذه الشركات ، التى مر ذكرها ، منتجات طيبة ، يصح ، بل يجب أن تكون فى متناول جميع المصريين وغيرهم . ففكر بعض كبار المصريين فى ذلك ، واتفقت كلمتهم على تأسيس شركة بيع المصنوعات المصرية .

وقد نجحت هذه الشركة ، بفضله تعالى ، وتوالى انشاء فروعها بالأقاليم . مما دل على أن منتجات مصر قد حظيت فى السوق بالاقبال الشديد .

* * *

ولسنا نزعم ، أيها السادة ، أن هذه الشركات التى سردناها من قبل ، هى كل ما تحتاج اليه البلاد . كلا . ان بلادنا لا تزال بكرا لكل عمل . وميدانا فسيحا لكل مشروع .وقد فصلنا ذلك فى تقرير طويل مطبوع قدمناه الى وزارة المالية منذ بضع سنين . وهو ، بلا فخر ، عصارة أفكار ونتيجة دراسات طويلة ، نعتقد أننا أدينا به بعض الواجب باسم « بنك مصر » نحو بلادنا العزيزة .

والآن ، اسمحوا لنا أن نتوجه لحضراتكم بسؤال يتردد فى خاطرنا باستمرار ، بل ونحسب أيضا أنه يتردد كذلك فى خاطركم جميعا ، وهو :

اذا لم يكن فى البلد « بنك مصر » فمن كان يؤسس هذه الشركات ؟

وأين كانت تذهب رءوس أموالها وهى آلاف مؤلفة من الجنيهات ..؟

وأين كانت تستقر ؟

ومن كان ينتفع بها .. ؟

وكيف كان يتاح الصقال لمواهب المصريين الذين أظهر العمل نبوغهم وكشف عن استعدادهم ، فتولوا مناصب لم يكونوا بالغيها لولا وجود هذه الشركات المصرية الصميمة .

اننا لا نذكر أسماء خشية تعريضها لحسد الحاسدين ، ولكننا نؤكد أن كثيرين من شبابنا بزوا الأجانب وأصبحوا فخرا لمصر والمصريين . ويسرنا أن عددهم يزيد على مر الأيام والسنين .

وأين كان يذهب ألوف العمال وجماعاتهم وأنصاف المتعلمين الذين يشتغلون الآن فى شركاتنا .

* * *

لم يكن بعيدا ، أيها السادة ، لولا بنك مصر ، أن تتخذ رءوس أموال هذه الشركات — سبيلها خارج بلادنا ، سربا ، فيستفيد بها من لا يعطف على مصر ، ومن لا يتصل بها بنسب أو سبب .. ولكان هؤلاء الألوف من العمال وأنصاف المتعلمين عاطلين يزيدون الخطر الاجتماعى الذى يهدد البلاد .

بل اننا لنزعم أن تأسيس هذه الشركات كان حقيقة — كما يقول الناس — عملا صالحا . فقد كان لها جميعا أبلغ الأثر فى بث روح الادخار والتوفير فى نفوس أفراد الشعب من حيث لا يشعرون .

ودليل ذلك أنه حيثما توجد منتجات شركة من شركات مصر بجانب منتجات مماثلة أخرى — تهبط الأسعار ويحل الرخاء .

ولسنا نزكى منتجات شركاتنا بشىء من الدعاية والترويج ، اذ يغنينا عن ذلك كله ما حازته معروضات شركات مصر من المداليات الرفيعة الشأن فى المعارض العامة ، سواء داخل القطر أو فى البلاد الأوربية ، اعجابا واستحسانا وتقديرا .

* * *

وبعد ، فبنك مصر وشركات مصر ليست الا معاهد للتربية الاستقلالية يكمل فيها الشباب المتعلم علومه بالعمل ، والمران عليه ، حتى لقد تكونت منهم طائفة صالحة يمكن أن تعد ذخيرة للوطن .

ومن نافلة القول أن نذكر مقدار ما ساهمت به هذه المعاهد فى قص أجنحة العطلة ، على قدر المستطاع ، وافتداء البلاد من شرورها الوبيلة .

وبهذه المناسبة يسرنا كثيرا أن ننوه هنا بما قام به بعض المصريين الذين اقتحموا الميدان ، وثبتوا فيه ، وترسموا خطى البنك وشركاته ،

فأسسوا مصانع وبيوتا تجارية وشركات نغتبط بها ، كما لو كنا نحن أنفسنا الذين أسسناها ، ونرجو لها دوام الثبات والتقدم والنجاح ..

وكل يوم نرى جديدا فى نهضتنا الصناعية والتجارية التى دب دبيبها فى نواحى البلاد وأصبح الكل مهتما بالمساهمة فيها . ومما يدعو للفخار أن فى البلد الآن روحا قوميا لتشجيع كل ما هو مصرى وتفضيل كل ما هو مصرى .

حتى انقلب الحال وأصبح بعض من لا خلاق لهم يحتمى بالمصرية لبيع سلعه الأجنبية باعتبار أنها مصرية .

وقد اهتمت مصلحة التجارة والصناعة بصالح التجار فأعادت تنظيم الغرف التجارية وأنشأت « السجل التجارى » لفائدة التجار وتمييز أنواع تجاراتهم وليكون مرجعا محترما يمكن الرجوع اليه بين البيوتات التجارية . ونحن نرجو من ورائه أن يكثر فى مصر « التاجر » الذى يعرف قيمة الورقة التجارية والذى يحرص كل الحرص على الوفاء ، حرصه على الاعتبار والشرف . بل هناك اهتمام آخر بالحياة الاقتصادية ، فان مصلحة التجارة والصناعة . التى كانت فى أوائل الحرب لجنة صغيرة ، أوشكت أن ترتقى الى وزارة وتنتظم فى عقد الوزارات المصرية .

ونحن ، فى هذا المقام ، لا يسعنا الا أن ندعو الله عز وجل أن يبارك بالتوفيق والسداد كل عمل مصرى برىء يقصد به تعزيز التجارة المصرية وحماية الصناعة المصرية .

تأثير البنك فى حياة مصر الاجتماعية

سادتى :

نكرر هنا ما سبق أن قلناه وهو أن البنك لا يريد أن يحتكر القيام بالمشروعات الصناعية أو غيرها . ويود دائما أن يظهر بجانبه مصريون يخففون عنه الحمل . ويضطلعون مثله بالمسئولية . وهو على استعداد لأن يمد لهم يد المساعدة بكل ما يستطيع . ويكفى البنك فخرا أنه فتح الطريق لكل من يريد أن يسير فيه من المصريين .

كما يكفى البنك فخرا أن وجوده بين سمع المصريين وبصرهم ، ساعد على تغيير بعض الأفكار الشائعة ، فمثلا بعد أن كانت الجمهرة من أبناء البلاد يستغلون أموالهم فى ناحية واحدة من نواحى الاستغلال ، وهى شراء الأطيان ، أو يودعون عفو أموالهم فى بنوك أجنبية تذهب أرباحها فى جيوب الأجانب ، التفت الكثيرون الى ناحية أخرى فاستغلوا بعض أموالهم فى مرافق بلادهم ، وساهموا فى السندات التى رفعت من ثروتهم وأصبحوا يتيهون بها ويفخرون . بل ومنهم الكثيرون ألفوا اقتناء سندات الدين المصرى العام وأوراق الشركات الأجنبية . ووجدوا فى ذلك مصدرا جديدا للايراد والثروة . وزادت هذه الحركة نشاطا بدخول المجالس الحسبية فى هذا المضمار تثمر أموال عديمى الأهلية بشراء القراطيس المالية المختلفة وخاصة سندات الدين المصرى العام .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن ننوه هنا بملاحظة جديرة بالذكر : وهى أنه لو كان المصريون ، أفرادا أو جماعات ، تنبهوا فيما مضى الى حصر سندات الدين المصرى ، كلها أو معظمها بين أيديهم ، لكنا الآن ، حكومة وشعبا ، فى غنى عن مشاكل كثيرة .. !

ونعود فنذكر لكم أن خزائن حفظ الأوراق المالية بالبنك ، تضم بين

جدرانها من قراطيس الدين العام وأوراق الشركات والبنوك الأخرى ، سواء لحسابه أو لحساب عملائه من الأفراد والهيئات ما يقدر بعشرات الملايين من الجنيهات .

وفى هذا دليل على التقدم والتطور .

وليس ذلك فحسب ، ولكن هناك أثرا لا يخفى لبنك مصر وشركات مصر ، فان كثيرا من الناس ، قبل انشاء بنك مصر ، لم يكونوا ليعرفوا طريق البنوك ولا التعامل معها . بل كانت حدود التعامل مع بعضهم البعض ، حدود ضيقة لا تسمح للثقة أن تقوم بدورها المهم ، فكان وجود بنك مصر وشركات مصر ، كافيا لاجتذاب كثير من عملاء البنوك الأخرى اليه ، وكافيا أيضا لتشجيع غيرهم على الخروج الى معاملة البنوك .

وفى يقيننا أنه كلما كثر عديد الطبقة التى تعامل البنوك وانتشرت هذه العادة ، عادة التعامل مع البنوك ، بين العامة والخاصة ، انتشرت الثقة بين الأفراد وقام على الثقة ما يقوم عليها من تنظيم سبل الانتاج فى كل نواحى الحياة .

بل ان لبنك مصر وشركات مصر أثرا آخر . فقد دعا الناس مجرد وجود هذه المؤسسات وانتشارها فى أنحاء القطر الى أن ينظروا للعمل الشريف غير النظرة التى كانوا قد تعودوا أن ينظروا بها اليه من قبل . وهى نظرة الترفع والاشمئزاز ولا سيما اذا كان العمل يدويا أو آليا غير أنيق كل الأناقة أو جذاب كل الجاذبية .

ولكن هذا الاعتبار العتيق ، وذاك المقياس المريض ، بدأ استبدالهما ، والحمد لله ، بنظر صحيح هو نظر الرجولة الى كل عمل شريف منتج نافع .

وليس بعيدا أن تعم هذه العقلية الجديدة وأن تغمر كل شيء . كما أنه ليس بعيدا أن يتأثر بها جانب حيوى كبير من الخلق المصرى فنرى

كثيرا من شبابنا المتعلم تعليما فنيا أو عاليا يتقدم الى العمل الآلى فى المصانع المصرية ، التى ستنتشر تبعا لحاجات البلاد ، فينزع عن نفسه راضيا ، لباسه الأنيق وزينته من الحلى ، ويستبدلهما عن طيب خاطر برداء العمل والعمال .

ان التطور الذى ستقبل عليه البلاد لا شك فيه وسيكون لنا من ورائه ان شاء الله ، رصيد من الأخلاق القويمة والخير الكثير والانتاج الكبير .

ولسنا نحصى لكم كل آثار بنك مصر وشركات مصر فى الحياة الاجتماعية المصرية ، ولكنا نشير هنا بوجه خاص الى ما كان من الأثر الفعلى فى تعويد عامة المصريين على خصلة الاقتصاد فى الانفاق — تلك الخصلة التى يعتبر نقصها ثغرة فسيحة من ثغرات التربية المصرية عامة — ذلك بأن خدمات البنك ومنتجات شركات مصر ، تعرض دائما على المصريين ، وغيرهم أيضا ، بما يشعرهم بالفعل بأنها أقوى وأنفع وأرخص مما يعرضه المنافسون الآخرون .

ومهما يكن من شىء فان كل قرش يدخل فى أرباح بنك مصر ، أو شركات مصر ، انما يبقى فى البلد ، لا ينزح الى الخارج . فاذا تحرك ثانية فحركته بركة للمصريين وفائدة المصريين .

فضلا عن أن هذه المؤسسات تعتقد ، فوق خصائصها المادية والكسبية أنها مؤسسات وطنية ، لا يغرب عن بالها لحظة أن عليها نصيبا فى الاصلاح القومى المنشود .

علاقات بنك مصر بالأجانب

سادتى :

كان هم بنك مصر ، أولا وأخيرا ، أن يكون رأس ماله خالصا للمصريين وحدهم لكى تكون ادارته مصرية دائما توجه سياسته لما فيه مصلحة مصر أولا وقبل كل شىء ..

وفيما عدا ذلك فان بابه ظل مفتوحا للجميع فهو يخدم المصرى والأجنبى سواء بسواء .

والبنك كما جاء فى خطبة افتتاحه سنة ١٩٢٠ — لا يضمر عداء لأحد . فهو بعيد كل البعد عن فكرة الأنانية والتعصب . بل هو استعان فى الواقع بخبرة الأجنبى . وأشرك معه بعض الأجانب الذين يتفقون مبدءا وغاية مع مصلحة مصر — فى بعض شركاته كشركة مصر للطيران . وشركة مصر لعموم التأمينات . وشركة مصر للسياحة . وشركة مصر لتصدير الأقطان .

وليس هناك عيب ، فيما نعتقد ، فى الاستعانة بالاخصائيين من الأجانب ما دام فى الامكان ، دائما وفى كل وقت ، جعل هذه الاستعانة عند حدودها من الخبرة والارشاد والخدمة الصادقة لمصر أولا وأخيرا .

ونحن نذكر بالفخر أن علاقاتنا مع البنوك الأخرى ومع الأجانب كانت فى الداخل والخارج على ما يرام . كما كانت كذلك علاقاتنا مع مراسلينا فى جميع أنحاء المعمورة . وكان ذلك سببا فى تشجيعنا على انشاء ما يعزز هذه العلاقات ويزيدها وثوقا ومتانة فاشتركنا فى تأسيس بنك مصر — فرنسا فى باريس وبنك مصر — سوريا — لبنان فى بيروت ودمشق وطرابلس وحمص .

ولا يخفى أن فروعنا ، سواء كانت فى مصر أو فيما وراء البحار ، انما هى كالسفير بين المصرى وأخيه المصرى ، وبين المصرى وغيره .

وما السفير الا رسالة طيبة ، ودعاية حسنة ، لو عرف كيف يؤدى عمله السفير !

وبنك مصر نفسه أصبح ، والحمد لله ، رسالة يقرأ فيها الناس معنى الصدق والحق والثقة . حتى أنه لا تؤلف لجنة ، أو هيئة ، أو مجلس ، فى الحكومة وغيرها الا دعى اليها أحد رجال مجلس ادارة البنك . وحتى أنه لا يفكر أجنبى أو مصرى فى مشروع مالى أو اقتصادى بمصر الا خطر له ضرورة الاحاطة برأى بنك مصر فيه ، ثم لا يلبث أن يبادر توا الى عرضه عليه .

ولكم أن تفسروا ذلك بما تشاؤون .

* * *

كلمة الختام

سادتى :

قد أطلنا القول ، فمعذرة .. !

وفى الحق ان ما سمعتموه الآن لهو أقل ما كان يجب أن تسمعوه . ذلك بأن ما فعلناه للبلاد . فى هذه الخمسة عشر عاما . كان قليلا . فكان الكلام الذى سمعتموه عنه ، أيضا ، قليلا .. !

* * *

ان الناس هنا وهناك ، تنسب نجاح البنك الى أسباب كثيرة :

فمنهم من ينسب ذلك الى قوة الشخصيات التى تديره .

ومنهم من يعزو ذلك للعاطفة .

ونحن ، هنا ، لا نذيع سرا ، اذا قلنا لكم ان سبب نجاح بنك مصر هو أولا فى الابتعاد عن زحام السياسة والحزبية .. فهو قد فتح أبوابه لخدمة جميــع المصريين ، عــامة وخاصة على السواء . وأصبح موضع احترام وثقة كل حكومة مصرية تتربع فى دست الحكم ، وصديقا لكل الأحزاب السياسية المختلفة المبادىء والمشارب .

كما يرجع سر نجاح البنك أيضا ، وبكل تأكيد ، الى اخلاص الأسرة (أسرة بنك مصر) التى تسود فيها المودة والولاء ويعتنق فيها البر بالرحمة ، ويتعاطف فيها الاتحاد والتضامن والتفانى والوفاء ..

وابتعاد البنك عن السياسة ، ليس ناتجا عن عدم اكتراث بمصالح البلد العليا ، فإن المصرى الذى لا يكترث بمصالح وطنه لم يولد بعد ، ولكنه اتباع للحكمة المأثورة : لكل عمل رجال :

فللسياسة رجال . وللمال رجال . ومن يخلط بين عمل وعمل ، اختلط عليه الأمر ، والتوى عليه القصد ، وأفلت منه سر النجاح !

ان بنك مصر يؤدى رسالته للجميع فى نزاهة واخلاص . وهو لا يرى أمامه ولا يبصر الا مصريين ، ومصريين فقط ، يحبون مصر قبل كل شىء وفوق كل شىء !

أنظروا الى ما عمله البنك فى بحر هذه الخمسة عشر عاما ..

انه فتح ميادين عمل مختلفة للشباب المصرى كانت موصدة فى وجهه .

وساعد المقاولين المصريين حتى ولجوا باب المنافسة وبزوا فيها وحتى أصبح فى مصر طائفة منهم لم تكن ببالغة ما بلغته لولا وجود بنك مصر .

وأسدى فى أيام الأزمة من المساعدات والخدمات لمواطنيه مما لا يمكن أن ينسوه مدى الحياة .

ثم سلوا عملاء البنك عما لاقوه من بنك مصر مدى هذه الخمسة عشر عاما الماضية ويلاقونه من مساعدات لزراعاتهم وصناعاتهم وتجاراتهم.

سلوهم عن الروح التى عاملهم ويعاملهم بها بنك مصر .

انها روح عطف ورحمة قبل أن تكون حزما وشدة .

سلوا كم من صانع لولا بنك مصر لما كان له من وجود .

وكم من تاجر مدين ببقائه الى بنك مصر .

وكم من دور غنية عامرة وعائلات كبيرة لولا بنك مصر لأصبحت فى أوقات الشدة طعما للخراب والافلاس .

ثم انظروا كم من البيوت يموج فيها البشر ورغد العيش بفضل عدد الموظفين والعمال المصريين العاملين فى بنك مصر ومؤسساته ؟ .

لقد بدأ بنك مصر كما قلنا فى موضع سابق بعشرين موظفا فى سنة ١٩٢٠ وأصبحوا ٦١٦ فى نهاية سنة ١٩٣٤ .

وبلغ عدد الموظفين والعمال بشركات مصر فى نهاية سنة ١٩٣٤ :

١١٥٠ موظفا و ١٦٠٠٠ عامل .

لكم أن تسموا بنك مصر « أعجوبة مصر » ..

ومع ذلك ،

فهذه أعمالنا . وهذا ما وعدناكم به . فاحكموا علينا أو لنا بما تريدون .

وما نحن الا بشر . نخطىء ونصيب . فإن أخطأنا ، فلنا من حسن نيتنا شفيع . وان أصبنا ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وحسبنا راحة الضمير ، بل حسبنا هذه الثقة الكبرى التى أوليتمونا اياها ، والتى تشحذ من عزيمتنا ، وتشد من أزرنا ، وتقوى من قلوبنا .

ومثل هذه الثقة ، أعظم جزاء تقدمه الأمة لخدامها العاملين .

ونحن نكرر هنا أيضا ما سبق ضمنّنّا به خطبة افتتاح البنك من أننا على استعداد دائما للتخلى عن العضوية والادارة لكل مصرى كفء يتقدم لحمل الأمانة مع حسن النية فى كل عمل يأتيه .

أيها السادة :

لا يفوتنا ، ونحن فى نهاية خطابنا أن نذكر بالخير والثناء جميع مواطنينا الذين شدوا أزرنا وعضدونا ، ورجال الصحافة التى أيدتنا ، وحضرات زملائنا فى مجلس الادارة الذين قضت ظروفهم بحرماننا من زمالتهم القيمة حافظين لهم أحسن الذكرى وأطيب الأثر ، وأن نشكر جميع رجال الحكومات التى توالت فى الحكم من يوم قيام بنك مصر — لما أولونا به من ثقة وتعضيد تجلى فيما قدموه لنا من مساعدات قيمة وتعضيد ثمين .

ولا يفوتنا أيضا أن نثنى الثناء الجم على جهود جميع الموظفين الذين ساعدونا بجدهم فى بناء هذا الصرح القومى ، وطال بفضل اخلاصهم وتفانيهم ذروة النجاح . ونرجو المولى جل وعلا أن يكونوا جميعا دائما عند جميل ظننا بهم وأن يوفقهم بتوفيقه ويرعاهم بعنايته ويهيىء لهم من أمرهم رشدا ..

* * *

أيها السادة :

ان فى كل عيد مثاراً لذكرى الصحب والأبناء ، وفى هذا العيد الذى نحتفل اليوم به ، لا ننسى أبدا أن نترحم على من فقدناهم من

زملائنا أعضاء مجلس الادارة ومن أبنائنا الموظفين الذين استشهدوا فى ظلال البنك والشركات رحمهم الله رحمة واسعة وأجزل لهم جميعا حسن الثـواب .

* * *

والآن ..

ليكن هذا اليوم عيدا يتكرر دائما على أيديكم وأيدى المخلصين من رجالات الأمة .

ولنتواص جميعا بالصبر وبالحق ، وبالحرص دائما على هذا الهيكل القومى المقدس .

ولنجعله للناس آية على أننا ، أمة النيل ، أمة تستحق الوجود ، بل وتستحق الخلود .

بارك الله فى جهودكم وجهودنا فى سبيل الوطن .

ولتحيى مصر .

خطبـــة محمد طلعت حرب باشا

فى حفـــلة بنك مصر التى أقامها تكريما للمفاوضين المصريين

فى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٦

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

باسم الله الرحمن الرحيم ، وباسم بنك مصر ومؤسساته ، وباسم زملائى جميعا ، نقدم لكم ولحضرات الأفاضـــل أعضاء هيئة المفاوضة المصرية جزيل الشكر على تشريفكم هذا المكان وتلبية دعوتنا التى قصدنا بها تكريمكم جميعا ، كما نشكر سائر الذين شرفونا بحضورهم من أمراء ونبلاء ووزراء وعلماء وغيرهم من رجالات الأمة وضيوفنا الأجانب .

ونحن اذ نكرمكم اليوم ، انما نكرم « الظفر » الذى رفعتم فى مصر أعلام موكبه ، كما كرمنا بالأمس « الجهاد » الذى رضى الوفد المصرى لنفسه خشونة مركبه .

نعم بالأمس — فى سنة ١٩٢١ — كرمنا معالى رئيس وأعضاء الوفد المصرى بمناسبة عودتهم من أوربا ، حيث كانوا يجاهدون فى ســـبيل القضية المصرية ، الى مصر حيث جاءوا يستوحون العزم ، كما قالوا يومئذ ، من عزيمة الأمة ، ويستلهمون القوة من اتحادها الرائع المتين .

وسبق لنا فى ذلك التكريم كلمة قلناها باســـم التجار المصريين ، أستميحكم اليوم عذرا فى ترديد بعض فقراتها على مسامعكم الكريمة .

قلنـــا :

« اننا لا نطلب الاستقلال التام لزخرف نبتغيه ، بل لخير نرتجيه » .

وقلنا : « لئن توقف رقينا الاجتماعى على تحسين أخلاق الأفراد ، وتوثيق روابط العائلات : فذلك لن يكون الا بعد أن نأخذ أمرنا بيدنا — ومن أجل هذا نطلب الاستقلال .

« ولئن توقف رقينا الاقتصادى على التربيــة الزراعية والصناعية والتجارية ، وتكوين الكفايات العلمية : فلن يكون ذلك الا بعد أن نأخذ أمرنا بيدنا — ومن أجل هذا نطلب الاستقلال .

« ولئن كانت تجارتنا ، وأسواق محاصيلنا ، ومرافق البلاد الحيوية تحت رحمة غيرنا ، أو كان التاجر المصرى مبعدا عن ابداء الرأى فى المعاهدات التجارية والتعريفات الجمركية التى تعقدها حكومته ، أو كانت أموال ميزانيتنا تبذر فى وجوه ليس الكثير منها من الضروريات ولا من الكماليات فى شىء — فاننا من أجل هذا كله قد طلبنا الاستقلال لنصبح أحرارا فى بلادنا ، نحيك ثيابنا على قدر أجسامنا ، ونرسم الأوضـــاع المناسبة لنا ولبلادنا وأخلاقنا وعاداتنا (فصاحب الدار أدرى بما فيها) ، ناظرين للمستقبل بعين ملؤها البصر بالعــواقب وقلب ملىء بالرجاء ، معتمدين فى ذلك كله على الله سبحانه ، وعلى أنفسنا ، وعلى عملنا ، موقنين أن من المستحيل أن تذهب جهود أمة أدراج الرياح » .

وتواصينا فى ختام تلك الكلمة بالتضافر والتماسك والاتحاد .

هذا ما قلناه منذ خمسة عشر عاما ، قلناه وصفا لحال كنا فيه .

وها نحن الآن فى عام ١٩٣٦ نعود لتكريمكم عودا على بدء ، اذ مكن الله لكم ولزملائكم أن تديروا دفة السفينة الى شاطىء الأمان ، وأن تنقذوا البلاد من حالة التقلقل ومختلف الأهواء ، وأن تكللوا جهاد الأمة

السياسى بهذه المعاهدة التى سميتموها وثيقة الاستقلال ، والتى فتحت لنا باب عهد جديد ، عهد الارتكاز والثبات والاستقرار ، عهد التدعيم والتنظيم ، عهد الحرية — حرية ارادة الأمة فيما تشاء — هذا العهد الذى نهنئكم من أجله ، ونشكركم على ما أنفقتم فى سبيله من جهد وتضحية وعناء .

أيها السادة :

ان النتيجة السارة التى ظفرنا بها هى ، ولا ريب ، خطوة واسعة لتحقيق أمانينا . وليس شك فى أن مفاتح المستقبل قد وضعت الآن فى أيدينا ، ويمكننا اليوم ، بلا حرج ، بل لعله واجبنا الأول ، أن نتصرف فى شؤوننا العامة تصرف الأحرار المستقلين . اذ ليس لنا عذر ما بعد أن كفلت المعاهدة المصرية الانجليزية لمشيئة الأمة اطلاق السراح وفك العقال.

وفى مثل هذا الظرف الدقيق ، ظرف الانتقال من حال الى حال ، تتكاثر الأمانى ، وتتزاحم المطالب ، وتود الأمة لو تحقق لها حكومتها كل شىء فى مثل غمضة العين — والطفرة محال .

على أنه من الطبيعى أن يكون أوجب الواجبات بعد هذا الاستقرار السياسى هو خلق الحركة الاقتصادية فى البلاد ، وموالاتها بمزيد العناية والالتفات .

وهذه الحركة ، والحمد لله ، قد خلقت بالفعل ، ووجدت ، وشبت وترعرعت فى كنف النهضة السياسية ، حتى أذن الله تعالى أن يتلاقيا أخيرا أحسن لقاء .

فقد ألهم الله تعالى بعض المصريين أن يضعوا على نور المشعل الوطنى الحجر الأساسى لاستقلال البلاد الاقتصادى ، فأسسوا على بركة الله « بنك مصر » ليكون نواة ذلك الاستقلال ، وليحققوا بالفعل فكرة

كانت تخايلهم منذ زمان بعيد . وحرصوا على أن يجعلوه بنكا قوميا يخدم الجميع خدمة خالصة بلا استثناء حتى اذا هم أن يقف وحده على قدميه ، وأن ينال الثقـة التى ينشدها — وأنتم تدرون بالطبع سحر مفعولها الأكيد — دأب على أن يسد ما استطاع من النقص الظاهر فى مرافق البلاد الاقتصادية المختلفة ، فالتفت لحاجات الأمة يصورها فى شركات مساهمة مصرية تحمل جميعا اسم مصر الخالدة . فكان للأمة من أثره فى مدى ستة عشر عاما ، بفضل تشجيعها وتأييدها ، شركات كثيرة بين صناعية وتجارية يمارس فيها المصريون أعمالا كانوا مبعدين عنها من قبل .

ولقد بلغ مجموع رءوس الأموال التى تأسس بها بنك مصر وشركاته والتى تدور فيه وفيها بفضل الله دورات مباركة ، والتى يستغلها الأفراد والهيئات المختلفة ايداعا واستثمارا — عشرات الملايين من الجنيهات . كما وصل عدد المديرين ، والمهندسين ، والفنيين ، والموظفين ورؤسـاء العمل والعمال فى البنك وشركاته أكثر من عشرين ألف شخص . وهؤلاء يعولون عائلات عديد أفرادها ، يزدادون باستمرار على توالى الأيام ، ويتصل بهم طبعا ملايين من أفراد العملاء والمنتفعين بخدماتهم ، وهم مجموع الأمة المصرية ، وكثيرون من أبناء جاراتنا الأمم الشرقية الشقيقة .

واستطاع البنك ، بفضل مؤازرة الأمة شعبا وحكومات متعاقبة ، أن يؤيد فى الأذهان مسألة امكان تحويل مصر الى أمة صناعية ، تستخرج من خيرات زراعاتها المباركة منتجات مصنوعة — وذلك بجانب شهرتها الخالدة كأمة زراعية عريقة . وهى مسألة طالما أثيرت عمدا وبغير عمد ليحولوا أنظار المصريين عن الاستفادة من بقرتهم الحلوب ، فكان لمصر فى هذه السنوات القلائل صناعات شتى : كالطباعة ، وحلج القطن ، والنقل بكل وسائله فى النهر وفى البحر وفى الجو ، وصناعات الغزل

والنسج للقطن ، وللكتان ، وللحرير ، وصناعات صيد الأسماك ، وصنع الأزرار ، وصناعة السينما ، والتأمين بأنواعه ، وغير ذلك . وركز البنك هنا وهناك العلم المصرى الجميل ، يذكر كل من يراه باسم مصر العزيزة !

والحمد لله أن صادف ابرام المعاهدة المصرية الانجليزية قيام هذه المؤسسات المصرية القومية الصميمة ، وعلى رأسها بنك مصر ، يؤدى رسالتها بكل اخلاص على قدر المستطاع .

وبالطبع لو لم يوافق مولد استقلالنا السياسى وجود هذه المجموعة الاقتصادية لم تكن للأمة مندوحة عن القيام بها من جديد فتنفق من الزمن والجهد ، ومن المال والتضحية ، ما هو أولى باتفاقه الآن لمتابعة المسير فى هذا السبيل الذى اختطه بنك مصر وواتاه الله التوفيق فيه .

أمام هذا الجو الصناعى الذى كان لبنك مصر شرف تكوين عناصره واشاعة الحياة المصرية فى كل جوانبه ، وأمام هذه الصناعات القومية التى أثبتت الظروف ضرورتها ونفعها ، والتى لا تزال حديثة النشأة والتكوين ، وفى حاجة قصوى الى كل ما يضمن لها أسـباب الثبات والنجاح المطرد — أمام هذا كله نستطيع أن نقول ان المسألة التى يجب أن تفوز الآن بعناية الأمة ، حكومة وشعبا ، ليست هى مسألة خلق الحركة الاقتصادية بالذات ، فهذه الحركة أصبحت مؤونتها — كما قلنا — سهلة هينة ، وحملها خفيفا مقبولا ، ولكنها مسألة واجبنا الاقتصادى بعد المعاهدة ..

ولعل أوجب ما يتحتم علينا عمله فى سبيل هذا الواجب وفى ظرفنا الحاضر هو وضع سياسة اقتصادية مصرية تبين حدودها بوضوح فى برنامج قومى شامل لعدة سنوات ، نرسم فيه كل ما ينقصنا من دواعى الرقى المنشود ، ونوطد به كل موجود منها لدينا ، وأن يشترك كل مصرى

فى تنفيذ هذا البرنامج ضمن الحدود المرسومة — كل فيما يسره الله له — دون أن تطغى فئة على أختها ، أو يتدخل بعضهم فيما لا خبرة لهم به ولا تجربة . وأن يستعد الشباب — وهذه مهمته دائما — الى ما يكون تنفيذه من هذا البرنامج القومى فى حاجة الى خفة الحركة ، وسرعة البذل وكرم التضحية .

وكل فرد ، مهما يكن ، يستطيع أن يخدم هذا الوطن الكريم ، بالتفرغ لعمله واحسان هذا العمل ، واجادة اتقانه سـواء فى أعماله الخاصة أو العامة . ولقد جاء فى الأثر : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » . كما جاء فى قول آخر : « ان الله يحب من العامل اذا عمل أن يحسن » . ولا عجب ، فالله كتب الاحسان على كل شىء ، فهو يقول عز شأنه : « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » . ويقول أيضا جل وعلا : « ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » .

أيها السادة :

هكذا حضنا الله على الاحسان فى العمل ، ولذلك كان من الحق علينا أن نلتفت الى احسان واجبنا الوطنى . وليس أوجب على مصرى من أن يخدم وطنه ونفسه معا اذا جعل نصب عينيه تفضيل مصنوعات بلاده على كل ما عداها ، وليأت المثل فى ذلك من أعلى . كذلك يوجب الوطن على كل مصرى أن يتعلم الحساب ويتعوده فى جميع مظاهر حياته اليومية ، فمن حسب كسب . واذا قلنا الحساب فقد قلنا الاقتصاد ، والاقتصاد من جميع الوجوه ، حتى نستطيع أن نقابل به كل التكاليف الخاصة والعامة فى هذا العهد الجديد .

أيها السادة :

لا يفوتنا أن نذكر هنا أننا فى دور انتقالنا أحوج الناس الى التريث

فى الدرس والحيطة فى النقل عن غيرنا . فان ما يصلح لبلد من البلدان قد لا يصلح لبلد ناشيء كمصر لا يزال فى أول عهده فى الحياة الصناعية ، وفى تكوين الصناع وتهيئة العمال ، بل فى ممارسة الاستقلال . يجب أن نستفيد دائما من تجارب الذين سبقونا ومما وعظهم التاريخ به ، ونأخذ فقط ما يلائم حالتنا المتواضعة ، وما تثبت النظم الاجتماعية والخلقية والاقتصادية أنه صالح لنا من كل الوجوه . ولتكن لنا ثقافة مصرية خاصة متشابهة فى سموها مع أسمى الأمم ثقافة ، ولتكن لنا عقلية مصرية مستقلة — عقلية هى وليدة ماضينا الذى لا مفر عن الخروج من تأثيره فينا ووليدة حاضرنا نسعى الى أن نربطه بماضينا كما نسعى أن نقوده ونسيره الى مستقبل حسن . والمستقبل وان يكن بيد الله ، الا أنه الى درجة ما بيد القوم ، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

واذا كنا نقول بوجوب رسم سياسة عامة فى برنامجنا الاقتصادى تقضى أن نكلم الناس باللغة التى يفهمونها كما سبق أن كلمونا باللغة التى يحسنونها ، وأن نعامل الدول معاملة المثل فى كل شيء ، فنفتح مثلا الباب لمن يفتح لنا بابه ، ونكرم ضيافة من يكرمنا فى رحابه ، ونقبل للعمل فى بلادنا أبناء من يقبل أبناءنا للعمل فى بلاده — متبعين فى ذلك وأمثاله طريقة حساب « الدوبيا » : لا نعطى حتى نأخذ غير طامعين ولا متساهلين — اذا كنا نقول ذلك ، فاننا نقول أيضا ان أيدينا ممدودة لأصدقائنا الأجانب الذين يحبون أن يتعاونوا معنا فى خدمة هذه البلاد خدمة أساسها الاخلاص وتغليب المصلحة المصرية العامة على كل مصلحة سواها ، مؤكدين أننا لا نكره الأجانب مطلقا ، ولكننا نكره الأنانية التى لا تفيد مصر شيئا .

وبنك مصر قد اشترك فعلا فى بعض أعماله مع بعض الأصدقاء الأجانب حين أسس شركة مصر لتصدير الأقطان ، وحين أسس شركة

مصر للطيران ، وحين أسس شركة مصر للسياحة ، وشركة مصر لعموم التأمينات . ولم يتعاون مع هؤلاء الأصدقاء الا على شرط تقديم مصلحة مصر على كل مصلحة أخرى ، وعلى شرط الصراحة التامة والاخلاص للعمل وحسن النية والبعد عن السياسة . وهو مستعد دائما لأن يمد يده الى كل من يريد التعاون معه بصدق واخلاص لمصلحة مصر وفى سبيل اسعاد مصر .

أيها السادة :

قد بينا مهمة الأفراد باجمال ازاء هذا البرنامج المنشود .

أما مهمة الحكومة فى وضع مثل البرنامج وتنفيذه ، فمهمة خطيرة دقيقة المسئولية . فهى — فى سبيل توطيد النهضة الاقتصادية — تسن القوانين ، وتفرض الرسوم والتقاليد التى من شأنها حماية الثروة الأهلية وتفضيل كل المصنوعات المحلية ، وتحد من عدد المصانع التى قد تزيد عن مقدرة البلاد لكيلا يقتل بعضها بعضا وتهيىء لهذه النهضة رجالها وأشبالها ، فتعنى العناية كلها بسياسة التعليم حتى يكون الغرض منها تكوين رجال أعمال أكفاء — يطلبهم العمل ، دون أن يطلبوه هم أو يستجدوه ، وكذلك تكوين الزوجة الفاضلة ، وربة الأسرة المدبرة ، وأم الطفل التى تربى النشء على مكارم الأخلاق ومبادىء الوطنية الحقة وتعوده على فضيلة الاقتصاد وروحه حتى يتكون للأمة جيل متشبع بالتربية الاستقلالية الاقتصادية ، وأن يحسن جميعا تدبير البيت ويقمن بتلك الوظيفة الطبيعية التى خلقهن الله لها خير قيام .

وليكن التعليم فى أساسه — كما قلنا منذ نحو ربع قرن — مناسبا لحالة البلاد ، وملائما لطبيعة الأمة ، وكافلا حاجاتها العلمية والعملية ، فلا يسلخ ولد الزارع من عمل الزراعة ، ولا يقطع ابن الصانع من مباشرة

الصناعة ، ولا يسل المتعلم من الأهل ، ولا يهلك الحرث بتعليم النسل ، ولا يجعل الناشىء يهتم بنعومة كعبيه ، ويحتقر ما وجد عليه والديه ، ويظن السعادة محصورة فى الخدم الأميرية ، والترفع عن الأعمال الأهلية ، بل يكون التعليم على وجه يحبب الى المتعلمين مباشرة الزراعة والصناعة ، ويرغب فى كسب المعاش بطرق بعيدة عن الهوان والضراعة ، ويعرف أن الصانع فى دكانه ، والزارع فى غيطانه — لا ينقصان قدرا عن المستخدم فى ديوانه ، ولا القائد فى ميدانه ، ولا الوزير فى ايوانه ، وأن سائق الدابة ليس أحط من راكبها ، وليس شارى السلعة أرفع قدرا من جالبها ، واذا تفاوت الناس فى الأقدار فانما هو بما يعود من نفع أعمالهم على هذه الديار .

ولسنا نشك ، أيها السادة ، فى أن كل ذلك وكثيرا مثله نصب عيون ولاة الأمور .

ولا يفوتنا ، كعادتنا ، أن نتواصى فى هذا المقام بالتضافر والتماسك والاتحاد واشاعة العدل بين الناس أجمعين .

لقد جربنا الاتحاد — اتحاد الأمـة وزعمائها — مرتين : مرة فى سنة ١٩١٩ وأخرى سنة ١٩٣٦ ، وجنينا فى المرتين ثمارها الحلوة الشهية ، وبالعكس قد بلونا المر من ثمر الانقسام — ونعوذ بالله من الشيطان الرجيم — فعلينا بالاتحاد دائما : انه درعنا الواقى فى كل الظروف .

أيها السادة :

كدنا نطيل القول ، فعذرا وشكرا .

واذن « هيا الى العمل ! » فنحن لم نزل فى أول الشوط ، وميدان النشاط الاقتصادى فسيح جدا .

« هيا الى العمل ! » فمصر لم تزل الروضة الأنف ، ومطالبها مختلفة

وكثيرة يخطئها الحصر . والمستقبل يفتح ذراعيه للعاملين ، ويحتضن لهم الأمل الباسم العريض .

« هيا الى العمل . » فعبقرية الأمة المصرية — بفضل اتحاد أبنائها جميعا ، وبفضل الخلق القوى المتين ، وبفضل الاعتماد على النفس ، والرجولة الكاملة والشعور بالمسئولية — كفيلة أن تصنع كل شيء عظيم ، وأن تحيل تراب تربتها تبرا ، وماء نيلها عسلا شهيا !

« هيا الى العمل ! » فهذا العهد الجديد عهد شباب الأمة ، جدير بالعمـل ، العمل المنتج ، العمـل الصالح ، العمل لخير الفرد وخير الجماعة معا .

ان الاستقلال السياسى ، والاستقلال الاقتصادى ، توأمان عزيزان ، خليق بنا أن نوفر لهما القوة والمنعة والسلطان .

وطوبى لمن يبنى فى هذا العهد الجديد ..

أيها السادة :

نهنىء أنفسنا ، ونشكر الله .

وندعو من صميم القلب أن يلهمنا فى حياتنا الجديدة سداد الخطى ونعمة التوفيق .

ولتكن آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم أجمعين .. !

خطبة محمد طلعت حرب باشا

فى الصعيد

يوم أول يناير سنة ١٩٣٩

كان محمد طلعت حرب باشا قام مع بعض رفاقه برحلة صحية فى الصعيد فى أوائل سنة ١٩٣٩ ، فاحتفى بمقدمه احتفاء كبيرا . وقد عثرنا على هذه الخطبة القيمة التى ألقاها فى حفلة ضباط الأورطة الثانية المشاة فى أسوان بمناسبة تكريمه هناك :

أيها السادة :

اننى أشكر حضراتكم مرتين :

أشكركم أولا على هذه الدعوة الكريمة .

وأشكركم ثانيا على تهيئة هذه الفرصة السعيدة — فرصة وجودى بين فريق من ضباط وجنود جيشنا العظيم .

وانكم فى الأولى وفى الثانية قد ضربتم بسهم وافر فى الكرم . ولا عجب فالكرم جماع الأخلاق الفاضلة التى يمتاز بها الجندى المصرى دائما فى كل العصور .

فهو فى طاعته وحبه للنظام وفى نجدته ومروءته — كريم .

وهو فى تضحيته بالنفس والنفيس وفى اخلاصه وتفانيه فى أداء الواجب — كريم .

وهو فى صبره ورباطة جأشه واحتماله المكاره للذود عن شرف بلاده — كريم .

وهذا الكرم الطبيعى الذى ينتظم كل هذه الفضائل يوحى الى النفس ، بل يحبب الى كل مصرى أن يكون جنديا كريما دائم الاستعداد فى الميدان الذى خلق له . ويوم يتجه كل فرد من أبناء الأمة الى التفرغ لعمله ، فلا يلتفت التلميذ فى مدرسته الا لدروسه فقط ، والموظف فى ديوانه الى واجبه فقط ، والزارع فى حقله الى بذره وحصاده ، والصانع الى صناعته ، والعامل الى مهنته — يوم يزداد انتاجنا الأهلى فى كل النواحى ، ويوم تخف حاجتنا الى غيرنا ، ويوم نبنى حوائط جديدة فى بناء النهضة المصرية تكون لنا وذريتنا مثابة وأمنا وحصنا للعوادى على مرور الزمان .

ان النصب الذى أقاموه للجندى المجهول رمز للبطولة والتضحية ، وتكريم للاقدام والمروءة التى يتصف بها كل جندى أمين — أقاموه وخلعوا عليه هذا الاسم المستمد من انكار الذات ، صفة الجنود البواسل لأنه لا سبيل الى اقامة مثله لكل جندى على حدة .

وانها لفكرة سديدة حبذا لو كان لكل طائفة أخرى مثلها ، فيقام مثلا نصب للصانع المجهول ، والعامل المجهول ، والفلاح المجهول ، وهكذا .

وهذا فى الواقع مستطاع اذا استطاعت كل طائفة من هذه الطوائف أن يكون لها كل صفات الجندية من صبر واخلاص واستقامة وتفان وانكار ذات ، يومئذ يكون التنافس بين بعضنا بعضا فى الخير وللخير ، ويومئذ نسعد ، ونرقى ، ونسود .

سادتى :

أريد أن أشكركم مرة أخرى . ذلك بأنى أشعر شعورا عميقا أنكم تقصدون بهذا الاحتفاء الموجه الى شخصى الضعيف — احتفاء فى الحقيقة ببنك مصر ، خادم النهضة الاقتصادية فى البلاد ، وصاحب المدرسة التى

يتعلم فيها ويتعامل معها جنود مثلكم من جنود هذا الوطن الباقى على الزمن .

أحييكم وأحيى فى أشخاصكم الكريمة كل رجال الجيش الأكرمين .

أبقى الله جنود مصر ذخيرة وعتادا ، وألهم العاملين المخلصين سداد الخطى وحسن التوفيق .

بنـــك مصر [1]

قدوة حسنة للبلاد الشرقية

لم يكن الذين اتفقوا على ضرورة انشاء بنك فى مصر الا بضعة نفر من المصريين آمنوا بالفكرة لذاتها بعد أن نضجت فى مخيلتنا وشغلت تفكيرنا سنين عددا .

ولم يكن رأس المال الذى جمعناه لهذه الغاية الشريفة الا ثمانين ألف جنيه فقط — وهو مبلغ اتخذ بعض الناس يومئذ من بساطته مادة للتهكم والسخرية .

ولم يكن عدد الشبان الذين بدأنا بهم العمل الا مثل أصابع اليدين مرتين .

ولم يكن فى مصر وقتئذ مثال مصرى خالص يمكن احتذاؤه فيما اعتزمناه .

كل شيء كان ضئيلا وقليلا — الا الاخلاص والعزيمة ، والا ارادة الله وتوفيقه ، وهما أكبر من كل شيء .

وعلى بركة الله تأسس بنك مصر فى ٧ مايو سنة ١٩٢٠ .

واتخذ له طابقا من دار بالايجار ، ثم صار الطابق اثنين ، ثم تدرج فى أعماله رويدا رويدا ، وأنشأ له فروعا فى داخلية البلاد ، وسار الهوينا

---

(١) نشر هذا المقال فى مجلة « الحديث » الغراء التى تصدر فى حلب (سوريا) — كطلب صاحبها المفضال الأستاذ سامى الكيالى ، بمناسبة مطلع العام الميلادى ١٩٣٩ .

فى حيطة وحذر ، وبارك الله فى العمل الصالح فنجح ، وازداد واتسع ، فأصبح رأس المال بعد خمس سنوات نصف مليون جنيه ، ثم اطرد اتساع الأعمال وازداد عدد العمال فامتلك دارا قال الناس عنها انها تحفة عربية الطراز لا مثيل لها فى الشرق العربى — مؤلفة من ست طبقات مشيدة على رقعة من الأرض تبلغ مساحتها نحو فدان تقريبا . ثم ما زال البنك يطرد نجاحه واتساعه حتى بلغ رأس ماله مليونا من الجنيهات المصرية مدفوعة تماما ، قبل أن يبلغ من حياته — الطويلة باذن الله — سبعة أعوام سويا .

* * *

قبل أن ينشأ بنك مصر كان فى مصر بنوك كثيرة ، وكانت كثرتها لا تدعو فى الواقع الى انشاء بنك جديد آخر . ولكن هذه البنوك كانت ولا تزال ، بنوكا أجنبية تستوحى سياستها من أمهاتها فى الخارج ، وتقوم بالأعمال المصرفية البحتة دون نظر أو اهتمام جدى بمصالح مصر الاقتصادية ، سواء كانت زراعية أو تجارية أو صناعية — لذلك أنشىء بنك مصر . وكانت مهمة بنك مصر مهمة قومية من كل الوجوه . أخذ على نفسه عهدا بالقيام بها ما استطاع لذلك سبيلا . وفصل هذه المهمة فى برنامج شامل يتلخص فى عبارة واحدة هى أن يقوم للأمة بكل شىء فى الناحية الاقتصادية . وكانت أول خطوة خطاها فى أعماله المرسومة فى برنامجه أن قرر استعمال اللغة العربية فى تقييداته وحساباته ومراسلاته وفى كل شىء من أعماله ، فنجحت والحمد لله نجاحا عظيما .

* * *

اذا قال الناس « مصر » فانما يقولون أيضا « القطن » . ذلك بأنها أمة زراعية من القدم وستبقى زراعية الى ما شاء الله . وسيبقى القطن الذى تعتمد عليه وحده تقريبا مصدر ثروتها الأهلية ومقياس الحياة فيها .

على أن الزراعة وحدها لا تكفى حاجة مصر بالنسبة لازدياد عدد السكان ازديادا عظيما يفوق بكثير نسبة الأرض التى تستصلح للزواعة كل عام . لذلك كان من الواجب بل من مهمة بنك مصر أن يوجه البلاد الى الناحية الصناعية التى تتصل بالزراعة أيضا . فاتخذ القطن مصدرا لما يعتزمه من مشروعات فجعل منه سلسلة حلقات متصل بعضها ببعض دون أن يهمل الناس الزراعة كل الاهمال — وهذا محال فى الواقع — ودون أن يتكلوا عليها وحدها كل الاتكال .

وقبل أن يشرع فى صناعاته المتصلة بهذا المحصول الرئيسى قدر أن سيحتاج هو وشركاته فى المستقبل الى مطبوعات ودفاتر وغير ذلك فأسس أولا « مطبعة مصر » فنجحت والحمد لله وكان لها الأثر الواضح فى ترقية فنون الطباعة .

ثم التفت الى القطن فأخرج له « شركة مصر لحليج الأقطان » ، وهذه أنشأت لها محالج كثيرة فى داخلية البلاد . ثم أخرج له « شركة مصر للنقل والملاحة » لنقله زهرا أو محلوجا هنا وهناك .

ثم رأى القطن بعد حلجه يصدر — كما هو معلوم — خارج مصر . فاتفق مع جماعة خبيرة بتصديره هى جماعة لندمان المعروفة واشترك معها فى انشاء « شركة مصر لتصدير الأقطان » ثم انتهى الأمر بهذه الشركة أخيرا الى تمصيرها لحما ودما .

ها هو القطن تم حلجه فى مصر ولكنه لم يبق بها ، بل تصدر خاما الى الغزالين فى أوربا ينتفعون بمزاياه العديدة ، ويبادلون به مصر قطنا آخر غير مصرى ، هزيلا ورديئا ، مغزولا ومنسوجا . فكان من المعقول أن نفكر فى امكان غزل ونسج قطن مصر فى مصر — هذا البلد الذى ينتج أفخر أنواعه فى العالم . فاستقدمنا الخبراء العالميين لدراسة هذه

المسألة . وأخيرا قر قرارنا على انشاء « شركة مصر للغزل والنسج » واتخذنا قطعة أرض فى المحلة الكبرى لاقامة مصانعها ، فاتسعت ثم اتسعت حتى بلغت مساحة أرض المصانع أكثر من مائة فدان ، كما بلغ رأس مال هذه الشركة مليون جنيه ، وكما يبلغ عدد العمال الذين يتناوبون العمل فى مصانعها وورشها ومعاملها نحو عشرين ألف عامل يتقاضون أجورا قدرها نحو ألف جنيه كل يوم . وقد نجحت هذه الشركة أيضا وسدت فراغا كبيرا وأخرجت للمستهلك الفقير والغنى شتى الأقمشة المتينة الجميلة من صنع أيدى عمالها المصريين .

وبجانب غزل القطن ونسجه كذلك تغزل هذه الشركة وتنسج الكتان — ذلك المحصول المصرى القديم الذى عنى به بنك مصر فأسس شركة مصر للكتان لترقية وتشجيع زراعته حتى يكون لمصر محصول آخر بجانب القطن يمكن الاعتماد عليه .

وهكذا ظل بنك مصر يستنبط المشروعات النافعة التى تتصل بالقطن حتى أسس أخيرا « شركة مصر لصناعة وتجارة الزيوت » للانتفاع ببذرة القطن وغيرها من البذور المصرية الصالحة للعصير .

ثم رأينا أن ننتفع بالبحر نستخرج خيراته ونستفيد بها فأسسنا « شركة مصر لمصايد الأسماك » فأعانت الفقير وأمدته بالأسماك المختلفة الأنواع بعد أن كان هذا الغذاء مقصورا على طبقة الأغنياء الموسرين .

ثم رأينا كثيرا من المصريين يصطافون فى أوربا ويسافرون على بواخر أجنبية يظل فيها المصرى طوال مدة سفره غريبا ، يعلوه شعور غريب . فأسسنا لذلك « شركة مصر للسياحة » ثم « شركة مصر للملاحة البحرية » فهيأت هذه للبحر الأبيض المتوسط باخرتيها « النيل » و « كوثر » بما لا مزيد عليه من أسباب الراحة والمتاع .

ثم كان هذا الشعور الغريب يعترى المسافر الى البلاد المقدسة لتأدية فريضة الحج الشرعية، فهيأت لذلك أيضا الباخرتين « زمزم » و « كوثر » لنقل الحجاج ، وأنشأت لهم الفنادق الفخمة ، وساهمت مع بنك مصر فى كثير مما يرتاح له الحجاج عامة بحيث قد أصبح الحج رياضة بديعة مفيدة للصحة والدين .

ثم كان لابد لهذه المشروعات من دعاية تدعو لها ولمفاخر مصر كلها ، فأنشأنا « شركة مصر للتمثيل والسينما » أخذا بأسباب الثقافة واتباعا للسياسة التى اعتزمناها وهى تمصير كل شيء فى مصر بقدر المستطاع .

ثم كان لابد أيضا من مسايرة ركب الزمن فى سرعته التى امتاز بها وقتنا الحاضر فأنشأنا « شركة مصر للطيران » استثمارا لجو مصر الصافى البديع .

ثم رأينا أن صناعة التأمين صناعة يدعو اليهـا الحرص والنظر فى العواقب فوق أنها صناعة جديدة يجب أن يمارسها المصريون فأسسنا « شركة مصر لعموم التأمينات » للتأمين على الحياة وضد حوادث الحريق وسائر الأخطار .

وهكذا ترون بنك مصر قد أصبح كالشجرة ينبت لها كل يوم فرع جديد تدعو اليه الحاجة كما تدعو اليه الظروف والأحوال — حتى لقد أسس أخيرا « شركة مصر للمناجم والمحاجر » و « شركة مصر للدخان والسجاير » . وسيظل كذلك فى طريقه مستمدا العون والبركة من الله والنـاس .

* * *

لم يقتصر أثر بنك مصر ومنشآته على انهاض الحياة الاقتصادية وتكوين جيل صناعى جديد بل كان بنك مصر ومؤسساته فى الواقع

معاهد ثقافة وعرفان ، فأفسح لأبناء البلاد مجالا واسعا لاكتساب العلم وللارتزاق .

ولم يقتصر أثر تعليمه على التدريب المحلى والتثقيف بين معامله ومصانعه بل انه قد أرسل البعوث خارج مصر لينهلوا فنون الصناعة على أيدى أربابها حتى اذا عادوا استطاعت مصر أن تنتفع بما اكتسبوه من علم وخبرة .

* * *

أما بعد ، فها هو ذا نجاح بنك مصر وشركاته ظاهر للعيان والحمد لله .

نجح لأنه تفرغ لما أنشىء له ولم يتدخل فيما لا يعنيه . ونجاحه ونفعه وآثاره يصح أن تكون مثلا يمكن للبلاد الشرقية العربية أن تقتدى به وتترسم خطاه حتى تستطيع أن تستفيد من ذخائرها وكنوزها الدفينة والظاهرة ، سواء فى الأرض أو فى السماء ، وأن تستغلها استغلالا قوميا نافعا حكيما — توثيقا لأسباب الرزق وأسباب الارتباط بين الأمم العربية ارتباطا يعينها على تحقيق وحدة اقتصادية لتبادل النفع والخير بينها جميعا .

وفق الله البلاد العربية الى عمل كل ما يحفظ لها ثروتها ويوفر لأبنائها أسباب العلم والحياة ، فأساس العمران أخلاق وعلم ومال .

وجوب التعاون الاقتصادى

بين الأمم العربيــــة

كانت دار الهـــــلال فى مصر قد اعتزمت اصدار عدد ذهبى ممتاز من مجــلة « الهلال » الشهرية عن « العــرب والاســـلام فى العصر الحديث » ، وطلبت الى محمد طلعت حرب باشا أن يعاونها فى ذلك العدد بكتابة مقــــال عن «وجوب التعاون الاقتصادى بين الأمم العربية»، فوافاها بهذا المقال :

كل ما يحيط بنا من الحوادث فى هذا الزمان يدعو أهل الأمم العربية الى التفكير الشديد فى تنظيم مرافقها الحيوية ، واستغلال ما فيها من قوى الخير ، والاستعانة على ذلك بأنفسهم وجيرانهم الأقربين معا — تيسيرا لأسباب الرخاء والأرزاق ، واحتفاظا لأنفسهم وفائدتهم بما فى بلادهم ، أرضا وسماء ، من ثروات وكنوز .

ومعلوم أن كل أمة ضعيفة وفقيرة مع الفرقة وتشتيت الجهود ، وقوية وغنية مع الاتحاد وتركيز القوى .

والأمم العربية أسرة واحدة قد ألف بينها الدين واللغة والعادات ، فهى فى الواقع وحدة واحدة ، وهى فى مجموعها غنية بما فيها من خيرات كثيرة : رجال لهم عقول ، وقلوب ، وجنات ذات زروع ومقام كريم ، وهى تستطيع أن تستثمر هذه الخيرات بحكمة وتدبير وأن يبادل بعضــها ما عند البعض الآخر بما ليس عنده . فتدور المنافع على الجميع ، ويعم الخير على الجميع ، فتزداد ثرواتها الأهلية وقواها الحيوية ، وتستكمل ما قد ينقصها من أسباب الحياة العزيزة .

على أن ذلك كله لا يتم على الوجه المرغوب فيه الا بالتعاون فى الناحية الاقتصادية .

ولعل ما نشهده اليوم من التناحر والتنازع على مسرح أوربا مثلا أكبر حافز على وجوب هذا التعاون الاقتصادى الذى ندعو اليه . فليس يؤلب الناس هناك ضد بعضهم البعض الا التزعزع الذى أصاب النظام الاقتصادى فى بعض الدول . والنظام الاقتصادى هو أساس الحياة — اذا تزعزع واضطرب تحركت الفوضى والمطامع والأنانية .

ومن الحكمة ألا تغفل الأمم العربية أمر نفسها ، أو تكتفى بالتفرج على مآسى غيرها فى هذا المعترك المضطرب . بل الأولى بها أن تستنبط وسائل العيش بنفسها ولنفسها ، وأن تتبع بلا ابطاء خطة تعاون فيما بينها ، فترقى تجارتها وزراعتها وصناعتها ، وتعمم ثقافتها ، فلا تستأثر أمة منها بكل الخير بل تشيعه على الجميع لينتفع به الجميع ، وأن تتعاون معا فى كل مرافق الحياة الاقتصادية دون تراخ أو تهاون حذر الوقت أن يضيع فيما لا يجدى ولا يفيد . فبالتعاون تزول الجبال وتذوب العقاب والصعاب . وبفضله كان للدولة العربية — قديما — ملك واسع وسلطان عريض ، حتى ليحكى التاريخ فيما يحكى ، بهذا الصدد ، من الوقائع الكثيرة المقررة ، أن أحد الخلفاء نظر مرة فرأى غمامة على رقعة من أديم السماء فأشار اليها وقال : « اهبطى حيث تشائين فسيأتينى خراجك .. ! » وهو قول يشعر بالمجد وسعة الملك . وهو شبيه بما يقوله غيرنا اليوم « ان الشمس لا تغرب عن ممتلكاته » .

فأما مصر فنعتقد أنها لم تقصر فى أمر هـذا التعاون الاقتصادى والثقافى المنشود ، وهى بما عملته ، حكومة وشعبا ، فى هذا السبيل قد فتحت الباب لمن يريد أن يتعاون معها على الخير والبر والمعروف .

فأعمالها الاقتصادية وأبناؤها وأموالها فى خدمة الأمم العربية جميعا مما كان له أثر فى تقريب القلوب وتوثيق الأواصر وعقد أسباب المودة والتراحم والتآزر فيما بينها جميعا .

وبنك مصر كهيئة اقتصادية ومؤسسة علمية عملية — قد فعل فى هذا السبيل شيئا غير قليل . فلم يقصر مجهوده على مصر وحدها بل جعل له شعبة فى سوريا ولبنان لزيادة الروابط المالية والعلاقات الاقتصادية . وكان له أيضا أثر غير يسير فى الأقطار الحجازية . فعمل على تثبيت العملة المحلية باتفاق ولاة الأمور هناك ، بعد أن كان لبعض الصيارفة فى هذا الشأن أفاعيل ضج منها الحجاج وأهل البلاد ، وتعرضت لها السمعة المالية الى كثير . كما عمل بنك مصر على زيادة عدد الوافدين الى بيت الله الحرام بما أنشأه من البواخر ، كزمزم وكوثر وروض الفرج ، وهيأ فيها من وسائل الراحة والرفاهية ، وبما أقامه فى ذات البلاد المقدسة من الفنادق الفخمة وأرسله هناك من البعثات العلمية لدراسة ما يهم الحجازيين أنفسهم من مشروعات جليلة نافعة وغير ذلك من التسهيلات الكثيرة التى يعرفها الحجاج عامة .

هذا فضلا عما أسداه ويسديه مع مؤسساته الى سائر البلاد العربية من الرأى والفكر والمشورة والمعونة فى الحدود المستطاعة .

وبنك مصر جريا ، على تقاليده ، لا يدخر وسعا فى توخى المصلحة المشتركة بين مصر وأخواتها من الأمم العربية — متبعا فى كل خطواته الموفقة بفضل الله كل ما يوحى به التعاون الاقتصادى .

على أنه — والشىء بالشىء يذكر — لا تكفى اليد الواحدة أن تصفق كما لا يجوز أن يضحى فريق دون مقابل من الفريق الآخر . فالحياة منذ الخليقة أخذ وعطاء ، وهى اليوم حرب اقتصادية لا تغنى فيها العواطف ولا النظريات .

ولعل من الخير ، بل هو الخير ، أن نكون جميعا عمليين ومنطقيين ، وأن تشملنا كلنا روح العطف فنفضل القريب على الغريب — وكل غريب عنا لا يريد بنا خيرا — وأن نربى النشء على هذه الروح ليجدد الأبناء تراث الآبـــاء ويزيدوا عليه . ففى ذلك مكسب عظيم وربح جزيل ، اذ لا يخرج من يمينك ما تأخذه شمالك ، ولا يثمر معروفك فى غير أهلك وقرابتك وعشيرتك ومن يمت اليك بسبب .

« والأقربون أولى بالمعروف .. » — صدق الله العظيم .

النهضـــة الصناعية فى مصر

والصناعات المصرية

يحكى التـاريخ فيما يحكى ، قديما وحديثا ، أن مصر الزراعية ، الزراعية أمس واليوم وغـدا ، قد شهدت عصورا زاهية بالصناعات المختلفة ، حين كان الشعور بالحاجة الى الأشياء المصنوعة بأيدى أبنائها ، مقرونا غالبا باستقامة القصد ومضاء العزيمة .

والصناعة فكرة .

وكل فكرة وليدة الشعور والحاجة والضرورة .

فاذا كان الشـعور مريضا ، مثلا ، والحاجة ضعيفة ، والضرورة محتبسة — مرضت الفكرة وذبلت حتى يوقظها احساس حى عميق ، وتستبد بها حاجة ملحة ، وتدعو اليها الضرورة القاهرة — حينئذ تنهض للحياة وللقوة ، وتأخذ مكانها بين الانتعاش والازدهار .

ومصر التى زهت أحيـانا بالصناعات فى بعض عصـورها القريبة والبعيدة هى نفسها هذه الزبرجدة الخضراء — لم تتغير شمسها الساطعة ، ولا نيلها المبارك ، ولا تربتها الخصبة ، ولا جوها الصـافى البديع ، ولا فلاحها الصابر القنوع .

ولقد كان يمكن أن تستمر صناعتها القديمة لو كان الشعور بالحاجة اليها لم يلحقه ذبول أو فتور ، أو لو كان المصريون استمروا يعتبرونها ضرورة لا مفر منها .

ولكن أحداث الزمان ، وتغير السكان — لا المكان — ألقى فى الروع أن مصر ليست الا مزرعة لا مجال للصناعة فيها ..

فاستنامت الأمة لذلك حينا حتى بلغ بها الحال أنها اذا قامت أو قعدت واذا أكلت أو لبست ، واذا كتبت أو قرأت — كان كل شيء من صنع غيرها . وبلغ بها الحال أيضا أنها كانت تحلب اللبن فى دارها ، وتشترى الجبن من جارها ، وتنتج القطن فى أرضها ، وتستورد القماش من غيرها .

نعم . كانت تعطى الوفر ، وتستجدى النزر . فهى الغنية ذات المتربة ، والطاعمة ذات المسغبة ، والكاسية أخت العارية .

ولكن الشعور ، الشعور القومى ، قد استيقظ من جديد على صوت ضخم من تكاثر أهل البلاد وتناقص غلة الأرض ، وعلى عدم استصلاح أراضى أخرى تكفى زيادة السكان ، وعلى ما دعت الضرورة اليه من البحث عن أسباب أخرى للرزق والارتزاق .

وفكرت الأمة ، تحت تأثير الشعور والحاجة والضرورة ، أن تصنع بنفسها لنفسها شيئا . فمضت تحقق الفكرة ، ولم تبال بما ألقى فى طريقها من شتى العراقيل والعقبات والصعوبات .

وهداها ربها الى شجرة القطن التى اشتهرت بها . وكما استعبدتها هذه الشجرة طويلا ، همت الأمة أن تستبعدها بدورها فنجحت نجاحا عظيما .

تفرعت على شجرة القطن صناعات كثيرة : منها صناعة الحلج ، وصناعة النقل من الحقل الى السوق ، وصناعة التصدير ، وصناعة التأمين .

ثم كانت الصناعة الكبرى ، صناعة الغزل والنسج . فدارت فيها أموال كانت محبوسة لغير جدوى ولا أثر ، واشتغل فيها وفى الصناعات

الأخــرى عمال وموظفون ومهندســون وكيميائيون وفنيون يعدون بالألوف ، كانوا حملا ثقيلا على الانتاج الزراعى وحده ، وتكون بسبب قيام هذه الصناعات جيل صناعى تطمئن اليه البلاد فى حياتها الصناعية الجديدة ، ويساعد على تنويع الطبقات العاملة فى مصر ، ووجد الفلاح المصرى — فيما وجد من المنتجات المصرية — قماشا منسوجا فى مصر بأيد مصرية لأول مرة من القطن المصرى الذى ظل دهرا طويلا ينتجه ولا ينعم به جسده . فأصبح فى ملبسه الآن فخورا غير غريب ، وكان من قبل غريبا محروما حسيرا .

وتمكنت البلاد أن تستبقى فيها الجزء الأكبر مما كانت تنفقه فى استيراد الأقمشة وغيرها من الأسواق الأجنبية ، فوفرت على العامل والصانع فى مصر أجورا كانت تذهب كل عام رزقا باردا للعامل والصانع فى البلاد الأخرى . وساعد ذلك كله على انتشار اليسر وازدياد الرخاء وقص أجنحة العطلة وسد أبواب التشرد والفاقة .

ودعت الفكرة الصالحة أفكارا أخرى صالحة للظهور وللحيــاة . اذ أخذ كثير من المصريين يعودون الى تنويع زراعاتهم ، فزرعوا الكتان — وهو المحصول المصرى الذى طارت شهرته من قديم ، واندمج هو الآخر فى صناعة الغزل والنسج ، كما اندمج أيضا فى هذه الصناعة الحرير والصــوف .

وهكذا تفرع على شجرة القطن صناعات كثيرة ، حتى بذرة القطن قد أنشئت لها ولغيرها من البذور الصالحة للعصير صناعة جديدة هى صناعة الزيوت .

وكذلك التفت المصريون الى استثمار الكنوز الأخرى فى الأرض وفى البحر وفى الجو . فنشأت صناعة المناجم والمحاجر ، وصناعة الملاحة

البحرية ، وصناعة صيد الأسماك . وصناعة الطيران ، وصناعة السينما ، وصناعة الدخان والسجاير ، وصناعة دباغة الجلود ، وغير ذلك .

ومن بواعث فخرنا أن بنك مصر ، وهو بيت الجميع ، هو الذى قام بتوجيه الأفكار وتهيئة الأذهان للأخذ بفكرة الصناعة ، سواء بتأسيس أو تنمية هذه الصناعات بفضل ما لاقاه من الأمة حكومة وشعبا من التشجيع والتأييد .

ولحسن الحظ قد ترسم بعض المواطنين آثار بنك مصر فى الميدان الصناعى ، فقويت صناعات كانت قائمة ، ونشأت صناعات جديدة ، كصناعة طحن الغلال ، وصناعة الزجاج ، وصناعة الأثاث ، وصناعة الطرابيش ، وصناعة الأحذية ، وغيرها ، مما نرجو لها ولمثلها دوام النجاح والتوفيق .

واذن فمصر تعيش اليوم فى نهضة صناعية دعا اليها الشعور القومى ، والحاجة الماسة ، والضرورة الملحة .

وكان من وراء هذه النهضة تطور اجتماعى عظيم الشأن له أثره المشهود — كسبت الأمة منه ذلك التناسق بين الانتاج الزراعى والانتاج الصناعى والانتاج التجارى ، ووجد بجانب الفلاح المصرى ، عامل مصرى ، وصانع مصرى ، وتاجر مصرى — يتبادلون جميعا المنافع بجهودهم المختلفة ، ويشدون جميعا أزر بعضهم بعضا ، ويقوون جميعا بناء مصر الاقتصادى .

وكسبت الأمة أيضا ذلك الشعور بالكبرياء الوطنى وبالفخار والاعتزاز بدل الشعور بالضعف والاستكانة .

على أن النهضة الصناعية المصرية الموجودة الآن لابد لها من غذاء دائم ، وواجب الأمة حكومة وشعبا أن تقدم لها هذا الغذاء .

فأما الحكومة ، ونعنى كل الحكومات المتعاقبة ، فلم تقصر من ناحية الدعاية والتشجيع حتى الآن . وانما نرى من المستحسن تقدير حاجة البلاد ووضع سياسة دائمة لانشاء الصناعات فى مصر ، فلا يترك الباب مفتوحا لكل من يريد أن يؤسس مصانع موجود مثلها فى البلاد حتى لا تكثر كثرة لا تحتملها الأمة ولا المصانع ذاتها ، وتكون النتيجة سيئة على الجميع — ولنا فيما تعمله الحكومات فى البلاد الأخرى أسـوة حسنة .

وأما الأمة ، فمع توالى اقبالها المشـكور على المنتجات المصرية ، لا نزال نطمع فى المزيد من بث الفكرة القومية فى نفوس النشء : فى البيت ، وفى المدرسة ، وفى المجتمع . ولا يزال مطلوبا من كل مصرى أن يروج لمصنوعات بلاده . وأن يدعو لها بين أهله وأصدقائه ومواطنيه — فذلك دين فى الأعناق تفرضه الوطنية الصحيحة والمصلحة الذاتية أيضا .

وبارك الله لمصر فى منشآتها الصناعية المصرية الصميمة ، ووفق الله العاملين المخلصين .

الحج إلى بيت الله الحرام [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

سادتى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الذكريات السعيدة المباركة ، تثيرها الأيام السعيدة المباركة .

ونحن وأنتم نجتاز الآن أسعد الأيام ، أيام شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، فتثير بين قلوب المسلمين ذكرى من أسعد الذكريات ، هى ذكرى الحج المبارك ، الذى يأتى مباشرة فى ترتيب أركان الاسلام بعد فريضة الصوم ، هذه الأركان التى يعرفها كل مسلم وهى :

شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا ..

ولسنا فى هذا المقام ، ولا فى هذا الحديث الذى نلقيه الليلة على آذان مواطنينا المسلمين ، نذكر الناس بالحج على أنه شىء جديد . كلا ، فالحج فريضة معلومة ، كتبها الله تعالى على القادرين من عباده .

كذلك لا نعرض فى حديثنا الى أسباب وجوب أداء هذه الفريضة المقدسة : فحسبها أنها الركن الخامس من أركان الاسلام ، وأن المسلم يستكمل بتأديتها أركان اسلامه لله رب العالمين . وحسبها جزاء أن قال

(١) محاضرة أذاعها محمد طلعت حرب باشافى « الراديو » مساء يوم الجمعة ٢٣ رمضان سنة ١٣٥٦ (٢٦ نوفمبر سنة ١٩٣٧) .

النبى صلى الله عليه وسلم : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » . وحسبها روحانية أن ليس فى الدنيا شيء يستغرق القلب نورا وهدى كالذى يتمثل فى فكرة الاحرام ، وفى الطواف حول الكعبة المشرفة ، وفى السعى بين الصفا والمروة ، وفى موقف اليوم العظيم يوم الوقوف بعرفة — هذا اليوم الذى أنزل الله تعالى فيه قوله الكريم : « ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ؛ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ؛ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً » .

ولكنا سنصحب الحاج مرحلة مرحلة من مصر الى الأراضى المقدسة ، ونستعرض معه فى هذا الحديث القصير بعض ما جد من الوسائل ، وما استقر عليه الرأى لتسهيل أداء الفريضة ، وزيارة الروضة النبوية المطهرة فى هذا الموسم والمواسم التى تليه .

* * *

قد يعرف بعض المستمعين الكرام أنه سبق لنا حديث ، كحديث الليلة ، أشرنا فيه الى ما كان يلاقيه حجاج بيت الله الحرام وزوار الروضة الشريفة قبل تأسيس شركة مصر للملاحة البحرية ، وقبل أن يكون لها شرف امتياز نقل الحجاج الى البقاع المطهرة — من سوء المعاملة ، حتى لقد كاد يدخل فى روع الحجاج من طول ما تعودوا عليه من شظف الطريق ومن العنت والنصب والارهاق — أن ذلك من مستلزمات الفريضة ، وأن احتمال هذه الحالة العسيرة أمر لا فكاك منه ، وكان بعضهم يخال أنه كلما زادت المصاعب والمشقات والمتاعب فى طريق الحج ، بحرا أو برا ، كان جزاؤهم عند الله أكبر درجاته ، أو كان فرضهم مقبولا .

وبدهى أن الله لا يرضى لعباده ، وهم يقصدون بيته الكريم ، مثل هذه المشقات . بل انه ، عز شأنه ، شرط الاستطاعة لأداء فريضته المكتوبة .

والاستطاعة لا تتوفر الا مع سهولة الطريق ، ويسر الاقامة ، وضمان الراحة ، والأمان فى الغدو والرواح ..

أيحب أحدنا أن يزوره زائر فى بيته ، فلا يقبل منه الا اذا أنهكه التعب ، وأضرت به السبل ، ولاقى طريقه شدة ورهقا . ؟ كلا . ! — فما ظننا بالله ، والعباد عباده ، يحجون بيته قياما بطاعته ، واتباعا لأمره ، واستكمالا لأركان دينهم الحنيف ؟ !!

أما الآن فسبيل الاستطاعة لأداء فريضة الحج سهل ميسور ، حتى ليمكن أن يقال ان الحاج المصرى يستطيع أن يؤدى فريضة الحج على طريقة « من الباب للباب » بفضل الترتيبات التى اتخذت وتتخذ دائما لتوفير كل أسباب راحته وهناءته واطمئنانه .

فالحاج فى مصر ، وقبـل أن يغادر أرض موطنه ، يدفع لجهات الاختصاص ، فى مراكز المديريات أو فى المحافظات — طبقا لاتفاق تم بين بنك مصر وبين الحـكومتين المصرية والسعودية — ما يساوى قيمة الرسوم والضرائب المفروضة على كل حاج فى البلاد المقدسة ، وأجـور المطوفين ، وأجور السيارات أو الجمال بسعر الذهب (مع بعض الاحتياط فى تحديد هذا السعر) فيتسلمها بنك مصر من الحـكومة المصرية ، ويحاسب عليها الحكومة السعودية حسب السعر وقت وصول المراكب الى ميناء جدة . وفى نهاية الموسم يرد بنك مصر للحكومة المصرية ما قد يتبقى من فرق السعر لترده بمعرفتها الى أربابه .

فهذا الاتفاق المنظم قد كفل الراحة التامة للجهات الرسمية هنـا وهناك ، واستراح له الحجاج كثيرا ، اذ أصبحوا بفضله يخرجون للحج خفاف الأحمال ، ضامنين أداء الفريضة — بعد أن كانوا يحملون نفقات الحج ويحملون معها هم المحافظة عليها ، وهم استبدالها من الصيارفة هناك بأسعار كانت غالبا وليدة الأطماع والأهواء .

وأصبح الحاج يعرف قبـل رحيله مقدار ما قد ينفقه على وجه التقريب ، لا كما كان يسافر ومعه ما يظن تخمينا أن فيه الكفاية ، حتى اذا ما وصل الى الحجاز تبخر جزء كبير من ماله فى فروق المصارفة — الأمر الذى كان يوقع الكثيرين فعلا فى ارتباك وحيرة .

وهذا الاتفاق الموفق كان له أيضا ، ولم يزل ، فضل الحيلولة دون سفر المتسولين وأمثالهم من المحتالين الى بلاد الحجاز — أولئك الذين كانوا يتصيدون أجرة البحر ، أو يتحايلون بطريقة ما للوصول الى أرض البلاد المقدسة ، حتى اذا كانوا هناك راحوا يستندون الأكف ، ويسألون الحجاج الحافا غير مبالين أن يخدشوا ، بعملهم الممقوت ، سمعتنا المصرية خدشا كريها ..

هذه الخطوة الأولى ، ولما يبرح الحاج أرض مصر ، قد وفرت متاعب كثيرة يعرفها الذين كابدوها من قبل فى مواسم الحج الماضية . وهى خطوة يفخر بها بنك مصر كما تفخر شركة مصر للملاحة البحرية بأن وفقهما الله اليها ، وكانت فى الوقت ذاته محل اعجاب البلدان الشرقية الأخـرى .

* * *

فاذا كان الحاج فى السويس ، وجد هناك « فندق مصر » ، هذا الفندق الذى أنشىء انشاء لخدمة الحجاج وراحتهم ومن يكون معهم عادة من الأهل والصحابة . ويكفى أن نذكر للدلالة على نجاح هـذا الفندق واقبال الناس عليه أننا زدنا طبقاته طبقة جديدة سيراها حجاج هذا العام ان شاء الله .

وفى الباخرة ، سواء كانت زمزم أو كوثر ، وفرنا كل ما خطر لنا من وسائل الراحة التى تشعر المسافر بأنه فى بيته ، وتجعله يحس تماما أنه

فى جو اسلامى بحت ، كأنه لم يفارق بلده ، ولم يغترب عنه كثيرا أو قليلا فالمؤذن يجلجل صوته باسم الله ينادى : « حى على الصلاة ، حى على الفلاح » ، والميضأة تجرى فيها المياه الوفيرة للوضوء ، والمسجد فسيح لاقامة الصلاة ، والفقيه يفتى من يشاء فى مناسك الحج ، ويشرح ويفسر ما يعترض الحجاج من أمور الدين .

ويجد الحاج ، فيما يجد على الباخرة ، مستشفى كامل المعدات فى خدمته ، وطبيبا ، فى كل وقت ، يعنى بصحته ، وصيدلية تصرف الأدوية والعقاقير للمرضى حسبة لوجه الله تعالى .

ولسنا نشير هنا الى وفرة الأسرة الموجودة فى الدرجتين الأولى والثانية ، ووفرة المحال المريحة الفسيحة فى الدرجة الثالثة ، ولا الى وفرة الأغذية الصحية النظيفة لجميع الركاب — فقد أصبح ذلك كله معروفا معلوما .

والحجاج الآخرون يغبطون اخوانهم المصريين على ذلك كله ، ويطلبون من شركات الملاحة التى تنقلهم الى الحجاز أن تكون مراكبها مماثلة ، يتوفر فيها ما فى زمزم وكوثر من أسباب الراحة والعناية . وكل يوم نرى دلائل انصياع الشركات لبعض هذه الرغبات والمطالب ، وعلى ذلك فالخدمات التى نقدمها لحجاجنا المصريين ليست مقصـــورة عليهم بل تعدتهم أيضا الى حجاج الأمم الأخرى بطريق غير مباشر .

ولقد فوجىء الموسم الماضى بزيادة عظيمة فى عدد الحجاج ، فعقدنا العزم على أن نستعد للزيادة المنتظرة فى هذا العام ، وفى القيام بتوفير ما يمكن توفيره لراحة الحجاج وهناءتهم ، سواء فى البحر أو فى البر .

فأما فى البحر فقد وصينا بصنع لنش قوى لسحب الصنادل التى تحمل الحجاج من الباخرة ، بدل اللنشات الضعيفة التى كنا نستأجرها لهذه

العملية بأجور باهظة لا تتفق مع ما تؤديه من عمل وما يتحمله الحجاج من نصب .

ولم تقتصر على هذا اللنش القوى فى اختصار المسافة المذكورة ، بل اشترينا كراكة لتسليك طريقه وتطهيره من الرمال والشعاب . ونتعشم أن يتم ذلك هذا الموسم ان شاء الله .

ولما لاحظنا فى الموسم الماضى ونحن نؤدى الفريضة — نسأله تعالى أن يتقبلها منا ومن سائر اخواننا المسلمين — أن الحجاج حين ينزلون الى رصيف الميناء فى جدة لا ينزلون مع أمتعتهم فى أسكلة واحدة ، ورأينا أن الأمتعة تكدس بعضها فوق بعض حتى اذا جاءها صاحبها ، بعد استيفاء الاجراءات المعتادة ، لا يجدها الا بعد تعب وضياع وقت غير قليل — اتفقنا مع ولاة الأمور هناك على نزول الحجاج بمجرد وصولهم مع أمتعتهم فى أسكلة واحدة ، حتى اذا أتموا الاجراءات الجمركية المتبعة أمكنهم أن يتسلموها بأنفسهم أو يسلموها الى وكلاء المطوفين هناك .

وفى هذا الاتفاق الذى نؤمل تنفيذه فى هذا الموسم تيسير كبير وتوفير لوقت الحجاج وراحتهم .

ويحسن بهذه المناسبة ألا يثقل حضرات الحجاج أنفسهم بأمتعة أو أغذية كثيرة لا تدعو اليها الحاجة أو الضرورة وتكلفهم نفقات لا مبرر لها .

كذلك لما لاحظنا قصور السيارات عن الوفاء بحاجة الحجاج بسبب الزيادة التى فوجىء بها الموسم ، كما سلف القول ، فاتحنا ولاة الأمور فى الحكومة السعودية فى ذلك ، فبادروا — مشكورين — الى تقرير زيادة عدد السيارات فى الموسم الحالى ، وتمت التوصية على عدد كبير منها ، وصل فعلا حسب ما علمنا الى البلاد المقدسة .

وبجانب زيادة عدد السيارات ، يوجه ولاة الأمــور عنايتهم الى استكمال الورشة الأميرية فى مكة المكرمة ، سواء لاصلاح ما قد يطرأ من الخلل على بعض السيارات ، أو لترميم العدد العديد منها الذى كان يهمل جانبا بمجرد أن يصاب بتلف أو عطب . وقد أمدهم بنك مصر بمن طلبوهم من العمال والصناع والمهندسين المصريين للمعاونة على هــذا الاصــلاح .

كذلك اتفقنا مع ولاة الأمور على أن يكون رسم كوشان السيارة رسما شخصيا يحصل ممن يشغل محلا فى السيارة فعلا ، لا كما كان الأمر من قبل .

ومع كل ذلك فمن باب الاحتياط أظهرنا استعدادنا ، اذا دعا الحال ، لشحن بعض سيارات من عندنا أعددناها خصيصا للمساعدة فى نقــل حجاجنا المصريين من جدة الى أم القرى .

* * *

فاذا بلغ الحجيج أم القرى — مكة المكرمة — حيث تحملهم الأرض التى أخرجت خير أمة ، وتظلهم السماء التى شهدت الوحى على خاتم النبيين ، حيث المسجد الحرام ، وزمزم والحطيم والمقام ، حيث أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ، حيث قبلة المسلمين ومبعث النور والحق واليقين ، حيث تخفق القلوب سلاما ، وتهوى الأفئدة حبا واعظاما ، وتنشرح الصدور رضا وانسجاما .

اذا بلغ الحجيج هذا المقام الكريم ، واحتواهم هذا الجو العاطر العظيم ، ودخلوا القرية التى ارتضاها الله لبيته بسلام آمنين — وجدوا بنك مصر على قدم الأهبة لخدمتهم والعناية بهم ، ورأوا أنه قد أعــد بجانب فندقه الأول ، وعلى بعد خطوات منه ، قريبا من الحرم الشريف

— فندقا ثانيا جديدا مكونا من أربع طبقات مؤثثة كلها بأفخر الرياش ، ومعدة اعدادا على أحدث طراز ، تجرى فى دوراتها المياه ساخنة وباردة .

وفى الفندقين سيجد الحجاج ، اجمالا ، صورة طبق الأصل من بيوت مصر الراقية ذات الطابع الشرقى اللطيف . حتى ليحسب الحاج أنه فى داره ، وان يكن ، فى الواقع ، بيت الله على قيد خطوات منه ، يتمتع فيه بالطواف والصلاة كلما أراد ، آناء الليل وأطراف النهار .

كما سيلحظ الحجاج شيئا جديدا فى طريق المسعى بين الصفا والمروة ، اذ تم رصف هذا الطريق وأصبح السعى فيه أكثر سهولة وراحة مما كان .

ويسرنا أن نذكر هنا أن ثواب هذا العمل الطيب قد اختص به نفسه أحد الأثرياء المصريين — زاده الله نعمة وفضلا .

* * *

فاذا جاء موعد عرفات ، نزل الحجاج اليه سهلا .

وعرفات مكان مقدس عظيم التقديس . والوقوف فيه ، قبل أن يحل غروب يومه ، معناه اتمام الفريضة شرعا — لذلك كان من الواجب أن يتوفر للحجاج فى هذا المكان ما ينبغى له من النظام والانسجام حتى يتفرغ الحاج بكليته الى ربه فى تلبيته وابتهاله .

وقد فكرنا فى هذا فعلا مع ولاة الأمور فى الحجاز ، وفى وضع خريطة للصحراء فى عرفات وفى منى ، وتقسيمها الى مناطق تقسيما هندسيا يخصص فيه لحجاج كل قطر منطقة ، وتوضع على مقتضاه خيام الحجاج فى صفوف متناسقة ، وتعطى لها أرقام مسلسلة ، وتنشأ الطرق حولها لتسهيل المرور بينها والوصول اليها — كالنظام المتبع فى مصيف رأس البر — حتى يمكن لمن يريد ، أن يتزاور مثلا بلا مشقة أو خشية من تيه .

حتى اذا أفاض الناس من عرفات الى المشعر الحرام ، وعادوا يقضون أيام التشريق الثلاثة فى منى ، كانت تلك الأيام خفيفة محببة وسط ذلك النظـام .

* * *

هنا كلمة لابد منها فى هذا المكان :

عند نزول الناس من منى يقيم الحجاج بعد اتمام نسكهم ثلاثة أيام على الأقل فى مكة المكرمة ، حتى يقرر المجلس الصحى هناك نظافة الحج ، فيرخص لهم بابتداء السفر على دفعات متعددة — ونقول على دفعات متعددة لأنه يستحيل ماديا التصريح لكل الحجاج ، مصريين وغير مصريين بالنزول الى جدة ، لأنها بلدة صغيرة لا تحتمل ايواءهم جميعا ، بل المعتاد والمعقول أيضا ، أن يصرح بنزول العدد الذى تنتظره باخرته وعلى قدر حمولتها ، ممن انتهوا من أداء الفريضة وتمكنوا من زيارة المدينة قبل الحج . فأما الذين يزورون المدينة بعد الحج فهؤلاء يصرح لهم بذلك ، على دفعات أيضا بقدر عدد السيارات التى يمكن وقتئذ استعمالها فى هذه المهمة .

فاذا علمنا أن هناك غير المصريين حجاجا من كل البلاد الاسلامية فى حاجة أيضا الى سيارات ، سواء لنقلهم الى جدة ، للابحار منها على بواخرهم ، أو للذهاب الى المدينة المنورة — وضح لدينا العذر فى عدم امكان تلبية رغبات الحجاج فى النزول الى جدة دفعة واحدة ، ولا سيما اذا عرفنا من ناحية أخرى أن حجاجنا وصلوا الى الحجاز على ثمانى دفعات فى الموسم الماضى . فليس معقولا أن يعودوا جملة واحدة ، وعلى دفعة واحدة . وما دام هناك نظام لقيام بواخرنا من جدة للعودة بالحجاج كل خمسة أيام ، فنظن أن لا وجه يدعو للتعجل الشديد .

نذكر هذا ، ونرجو أن يسمعه حضرات الحجاج ، وأن يعاونوا على

انفاذه ، وألا يسمعوا لترهات الذين يقلبون الحقائق جريا وراء الشهوات والأهواء الباطلة . على أنه اذا عرض لبعض الحجاج ما يدعو لتعجلهم لظرف قهرى من الظروف مثلا ، فان المفوضية المصرية فى جدة هى التى تنظر فى مثل ذلك ، وهى التى توصى به لدى ولاة الأمور فى الحجاز .

ونعود فنصحب الحاج فىسفره الى المدينة المنورةبالسيارة أو بالطيارة وقد سبق ما فيه الكفاية عن السيارة .

وأما الطيارة فان الخط الجوى الذى أنشأناه بين جـدة والمدينة المنورة فى الموسم الماضى قد أسفر عن نجاح تام ، اذ قطعت الطيارة المسافة فى نحو ساعتين ، وكان الخط ذا جدوى عظيمة للقادرين شبابا وشيبا .

وفى هذا الموسم سنكرر التجربة باتساع أكبر من ذى قبل ، وسنزيد من عدد السيارات فى المطارات لخدمة الركاب ، وستنشأ استراحة فى مطار المدينة المنورة .

ونؤمل بذلك أن نكون قد وفقنا لخدمة الحجاج عامة وحجاجنا المصريين خاصة ، وسهلنا لهم جميعا زيارة النبى المصطفى الذى يؤثر عنه ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من وجد سعة ولم يزرنى فقد جفانى » . وقال كذلك : « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » .

وبهذه المناسبة نذكر حضرات الحجاج أن الأجور التى تقرر تحصيلها فى هذا الموسم انما هى عن الزيارة بعد أداء فريضة الحج . فاذا أراد أحد الحجاج أن يؤديها قبل الحج فعليه أن يدفع لحساب الحكومة السعودية قيمة الرسم الاضافى المقرر ، الذى أعلنته وزارة الداخلية فى منشورها الدورى هذا العام — سواء على الباخرة ذاتها أو لدى مندوب شركة مصر للملاحة البحرية فى جدة .

اذا أضيف الى ما تقدم ما ألفه الحجاج من ثبات العملة المحلية ومنع

التلاعب فى أسعارها — الأمر الذى عاد بأجل الفوائد الأدبية والمادية على أهل البلاد المقدسة ، وللوافدين عليها من كل البلاد الاسلامية — وأضيف أيضا ما يعرفه الناس جميعا من انتشار الأمن واستتباب السكينة فى كل ربوع البقاع المطهرة ، وتحسين الأحوال الصحية بفضل همة وحزم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ورجال حكومته السنية وبفضل البعثات الطبية المختلفة .

اذا أضيف كل ذلك أمكن القول أن ليس هناك عذر يعوق أى قادر من المسلمين عن اغتنام هذه الفرصة السعيدة للتقرب الى الله والتحبب الى نبيه ، عليه الصلاة والسلام ، بحج البيت الحرام وزيارة الروضة الشريفة .

لقد انقطع تقريبا دابر كل شكوى كان يضج بها الحجاج فيما مضى . حتى الذين فى نفوسهم مرض ، أولئك الذين كانوا يلجأون أحيانا الى تشكيك الحجاج فى فائدة كل ما يعمل لأهل الحجاز أولا ، وللحجاج ثانيا — أخذوا يستسلمون بعد أن رأوا أنفسهم يضربون فى حديد بارد على غير أمل قريب أو بعيد . « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » — صدق الله العظيم .

* * *

سادتى :

لقد استبشرنا خيرا منذ أن تم توقيع معاهدة الصداقة بين الحكومتين المصرية والسعودية . ويحدونا الخير دائما أن نتوقع الكثير منه لمصلحة القطرين الشقيقين . وفعلا جرى الفأل سعيدا طيبا ، فتذرعت حكومتنا بما تكنه لأهل الحجاز من عطف وحب ، وشكلت لجنة بوزارة الأشغال العمومية لدراسة شؤون الحرمين الشريفين والصدقات بالبلاد العربية —

انتهت من دراستها الى تقرير القيام بمشروع اصلاح الطرق بين جـدة ومكة وعرفات ، وبين جدة والمدينة المنورة ، ومشروع المياه ، ومشروع الكهرباء . وستستعين على تنفيذ هذه المشروعات ببعض أموال الصدقات، وبما يتحصل سنويا من الحجاج من رسم اصلاح الطرق ، بحيث اذا لم يزد مجموع هذا الرسم عن عشرين ألف جنيه فان الحكومة السعودية الموقرة ، تكمله الى المبلغ المذكور . ولابد أنكم تتبعتم أنبـاء هـذه المشروعات فى الصحف ، وعرفتم ما صادفته فى البرلمان من اعتمـاد بالاجماع . وستتبع هذه المشروعات النافعة ، التى نهنىء بها العالم الاسلامى ونشكر كل من كان له يد فيها ، مشروعات نافعة أخرى . فأول الغيث قطر ، والخير يدعو الخير . وما دام الذين يعرفون وجه المصلحة للاسلام والمسلمين فى مثل هذه المشروعات العميمة النفع ، يحرصون دائما على سياسة التفاهم التى لا انفصام لها باذن الله بين الحكومتين الموقرتين ، ويقدرون تماما ما فى صفاء النية وخلوص الطوية وصـدق الاخلاص وتمحيض النصح البرىء من نفع وفائدة — فهناك البشرى السعيدة تنتظر أهل الحجاز والوافدين عليهم من بقاع الدنيا ، وهناك الخير يعم الجميع فى هذا العهد السعيد .

نسأل الله أن ييسر الحج لكل راغب فيه ، وأن يتقبل منهم ، وأن يوفقنا اليه ، ويرزقهم وايانا العافية بفضله وكرمه — انه سميع مجيب .

وكل عام وأنتم جميعا بخير . والسلام عليكم ورحمة الله .

